



مفتاح كنوز الاسماء و الذفاير

في

تفسير آية الكرسي

مؤلف:

شهاب الدين احمد بن هلال



تعقيق:

عيدر شريفان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمه تصحیح

مؤلف

اثر وزین منسوب به شیخ شهاب الدین احمد بن هلال عارف است. و ظاهراً از عالمان قرن ۹ هجری است.^۱ از دیگر خصائص و ویژگی‌ها مانند تولد و وفات و آثار و اساتید و شاگردان او اثری در دست نیست. و در کتب تراجم به بیش از این مسأله به آن اشاره نشده است. فقط به یک اثر برای وی در اعیان الشیعه^۲ اشاره شده است که همان رساله حاضر یعنی تفسیر شریف آیه الکرسی موصوف به مفتاح الكنوز الاسماء والذخائر است. که اجمالی از آن برای شما بازگو می‌شود:

رساله حاضر

این اثر شریف تفسیر عرفانی و علمی است. این اثر شریف گرچه تفسیری عرفانی محسوب می‌شود اما از منقول، لغت، صرف و نحو نیز تهی نمی‌باشد. در قسمتهای اولیه آن پس از مقدمه‌ای بسیار اندک به فضائل آن اشارت دارد و آنگاه به مباحث لغوی، صرفی و نحوی نیز نیم‌نگاهی دارد که البته در این مختصر نیز عمق نگاه ایشان و فضل و حیطة علمی او هویدا است از کسانی چون سیبویه، برد فراء و... بهره گرفته است.

۱. اعیان الشیعه، ج ۳، ص ۲۰۰؛ فهرست کتب خطی کتابخانه مرکزی آستان قدس رضوی، ج ۲۲، ص ۴۲۵ و ۴۲۴.

۲. همان.



و پس از بحثی از اشتقاق و عدم اشتقاق کلمه «الله» شروع مباحث عرفانی آن از اقسام خلق است. و به مباحثی دیگر چون ماهیت اسم اعظم و اقسام اسم و اینکه هر موجودی مستند به یک اسم الهی است و اسم اعظم او همان اسم است. می پردازد و در فصلی با عنوان لایحه به مفردات کلمه «الله» و اشارات عرفانی آن مطلب را ادامه می دهد.

سپس تفسیر «لا اله الا هو» و مفردات آن می نشیند و سپس بحثی لغوی و حرفی و نحوی به بحث کلامی در این فقره دامن می زند که الهیات ثلاث در این جمله شریفه متجمعی شده است. توحید ذات توحید صفات افعال. و به بسط سخن در این وادی با ذکر مقدماتی می پردازد. ایشان در قسمتی از این بحث مبسوط، توحید را دارای مراتبی می داند و در کمترین مرتبه توحید اقرار به وحدانیت خداوند مطرح است که با آن ترک اعظم از انسان دور می شود که همان توحید تقلیدی است. و دیگر توحید استدلالی. که این هم ملحق به همان توحید قسم اول است با کمی تحقیقات. و یک قسم دیگر است به نام توحید خواص که در آن به توحید افعال و توحید صفات پرداخته می شود و یک قسم هم توحید خاصة الخاصة. مختص او حدی از افراد است.

پس از آن تفسیر ﴿الْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ را رقم می زند باز با همان دأب سابق. که از همین مختصر، به دأب و روش تفسیری ایشان می توان رسید. که دأب ایشان چنین بوده که اولاً اصل تفسیر و به عبارتی مشرب و روش تفسیری ایشان عرفانی و فلسفی است. و برای این مهم البته ابتدا برای تفسیر هر جزء یا فقره ای، از لغت، صرف و نحو نیز بهره گرفته و سپس به مباحث فلسفی کلامی و عرفانی آن می رسد و گاه هم از کشف و شهود و بیان سرّ هم سخنی به میان می آورد.

برای نمونه در بحث «قیوم» می نویسد: «لوقيل بأن القيوم هو امام الائمة لما كان بعيداً» و بر این مطلب خودش نیز برهان اقامه می کند و می آورد: «ما اظن احداً من اهل الله سبقني إلى هذا الكتاب» کشف را مختصر به خودش می داند.

بحث وقتی به لفظ (کرسی) و حقیقت آن می رسد نسبتاً مفصلتر است و پس یک بحث طولانی به این می رسد که کرسی همان علم است. و باز از مکشوفات والهامات خود در این بحث می آورد که خداوند به حسب کمیت کراسی دارد که آن کراسی همان کلیات عوالمند. و هر عالمی نیز یک کرسی است.

در مباحث پایانی این رساله وزین به «سبب شرافت آیه الكرسي» اشاره می کند و در آن می فرماید جهت آن آیه این است که : ۲۱ اسم از اسماء الهی در آن آمده است . و البته ایشان فقط همان آیه اول از ۳ آیه را آیه الكرسي می داند .

تحقیق این رساله براساس تنها نسخه موجود در فهرست کتب خطی کتابخانه مرکزی آستان قدس رضوی با شماره عمومی ۷۹/۳ انجام گرفته است . این نسخه با خط نسخ ، و کاتب آن تاج الدین بن محمد بن حمزه بن زهرة الحسينی الفوعی است تاریخ کتابت ، دوشنبه سوم رجب / ۸۹۲ است .



والسلام
حیدر شریفیان

بسم الله الرحمن الرحيم^١
الحمد لله الأول ببطونه الآخر بظهوره والصلاة على قطب أقطاب الدوائر ووارث علم
الأوائل والأواخر محمد وآله وصحبه مفتاح كنوز الأسماء والذخائر .
أما بعد : سنح لي أن أفسر أعظم آية في القرآن تفسيراً شتملاً على الظهور والباطن
يقتبس منه أهل الظاهر والرسم ويتحقق به أهل الباطن والكشف .

[فضائل آية الكرسي]

عن أبي بن كعب - رحمه الله - قال :
قال : قال رسول الله ﷺ يوماً لأبي المنذر ، أي آية من كتاب الله أعظم قلت : الله لا إله
إلا هو الحي القيوم ؛ فقال : فضرب في صدري وقال : ليهنك العلم فهو الذي نفسي
بيده أن لهذه الآية لساناً وشفعتين ، تقدس الملك عند ساق العرش .^٢
قال رضي الله عنه : « قال الله : يا موسى من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة أعطيته
ثواب الأنبياء »^٣ معناه ، تشبيه الثواب بالثواب في أصل الكمية باعتبار العمل لا من جهة
النبوة ؛ إذ ليست لأحد سوي الأنبياء ؛ لأنه إذا قيل لأمرين ، أحدهما هو الآخر ، كان معناه
أنهما اتحدا في أمر ذاتي . والمناسب ها هنا الاتحاد في أمر عرضي وليس سوي مقولة الكم .
والأحاديث في هذا المعني كثيرة فلا حاجة إلى الإطالة .

١ . شهاب الدين احمد بن هلال ، له تفسير آية الكرسي عرفاني ، مبسوط سماه مفتاح كنوز الأسماء ، كتبها في ٣ رجب سنة
٨٩٢ (اعيان الشيعة ، ج ٣ ، ص ٢٠٠) .
٢ . صحيح مسلم ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ؛ سنن أبي داود ، السجستاني ، ج ١ ، ص ٣٢٩ / ١٤٦٠ ؛ المستدرک للحاكم ، ج ٣ ، ص ٣٠٤ .
تفسير القرطبي ، ص ٣ ؛ الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٣٢٣ ؛ مجمع البيان ، ج ٢ ، ص ١٥٧ ؛ تفسير أبي الفتوح الرازي ، ج ١ ، ص ٤٣٨ .
٣ . تفسير القرطبي ، ج ٣ ، ص ٢٧ ؛ الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٣٢٣ .



[تفسير آية الكرسي والقول في كلمة «الله»]

فلنشرع فيما هو المقصود: «الله»، مبتدأ؛ هذا الإسم أشهر أسماء الربّ. وأعلم أنّهم اختلفوا في لفظ الجلالة أنّه عربي أم عبراني أم سرياني، فذهب بعضهم إلى أنّه عبري أو سرياني ليس بعربي وهذا القول يتلّشا عند التحقيق^١ وذهب الباقيون إلى أنّه عربي. والقائلون بأنّه عربي اختلفوا في أنّه علّم أو صفة، فذهب معظم والأكثر إلى أنّه علّم. وذهب قليل منهم إلى أنّه صفة. والقائلون بأنّه علّم، اختلفوا في أنّه مشتق أم لا؛ وهذا يبتني على أنّه أصل آخر وهو أنّه علّم، وضع ابتداءً ارتجالاً أو وضع من أصل آخر من غير ارتجال، فعلى أنّه وضع ارتجالاً من غير أصل لا اشتقاق فيه، فتكون الألف واللام جزءاً من الكلمة؛ وعلى أنّه وضع من أصل يحتمل أن يكون مشتقاً وأن لا يكون؛ لأنّ الأصل إن كان مشتقاً فهو مشتق وإن كان غير مشتق فليس بمشتق، فعلى القول بأنّه أخذ من أصل فإذا أصله قلنا فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: وهو أحد قولي سيبويه: أنّ أصله «إله» على وزن فعال كإمام وكتاب من «إله» بفتح اللام، الهه إذا عبّد عبادة. ومنه قراءة ابن عباس «ويذكر والهتك أي وعبادتك» ثم أدخلت عليه الألف واللام تحفيقاً قياساً على قول واحتياطاً على آخر، حذفهما ونقلت حركة الهمزة إلى حركة لام التعريف بعد حذفهما، فكان بدخول الألف واللام «الإلاه» و صار «اللاه» بلامين متحركين فسكنت الأولي وأدغمت في الثانية ليسهل التفوه به؛ فقليل: «الله» فقال: الوازن هي الهمزة وعينه اللام ولامه الهاء والألف اللام الزيادة. وفعال ها هنا بمعنى مفعول «أله» بمعنى مالوه كإمام بمعنى موتم به.

والقول الثاني: أنّ أصله «لاه» على وزن فعل كجار ودار «الوه» كجور ودور، فقلبت الواو وألفاً، ثم أدخلت الألف واللام. وهذا هو قول المبرد^٢ والفراء^٣ وقول سيبويه الآخر.

١. نقله الرازي في تفسير الكبير، ج ١، ص ١٦٣ في المباحث المتعلقة بقولنا (الله)، المسألة الثالثة.

تفسير القرآن، صدر المتألهين، ج ٤، ص ٢٦.

وأيضاً قال الحكيم: وقد أخذ من إحدى اللغات غير العربية كالعبرية أو الساقية حيث كان أصله: «لاه» مثلاً ثم حوّر بعد إدخال الألف واللام عليه راجع: تفسير سورة الحمد، محمد باقر الحكيم، ص ١٥٤.

٢. نقله ابن منظور في لسان العرب، ج ١، ص ١٨٨ - ١٩٠.

٣. نقله ابن منظور في لسان العرب، ج ١، ص ١٨٨ - ١٩٠.

٤. الكتاب، ج ١، ص ٣٧٨ و ٣٤٣؛ ونقله ابن منظور في لسان العرب، ج ١، ص ١٨٨ - ١٩٠.



والقول الثالث: ^١ أن أصلها الكناية؛ لأن الخلق مفطورون ومطبعون على الشهادة بأن لهم موجوداً صناعاً ولم يعرفون له إسماءً فعند الإلتجاء في الشدايد والتضرع إلى الخالق؛ أشاروا إليه بهو؛ إذ لم يعلموا له إسماءً، ثم أدخلوا عليه لام الملك فصار «له» ثم مد الصوت باللام تفخيماً وتعظيماً فصار «لاه» وأدخلوا عليه الألف واللام فصار «الله».

والقائلون بالاشتقاق، قيل: اشتقاقه ^٢ من «إله» إذا عبد فهو مالوه ومعبود ومن «إله» إذا سكن، من أهت إلى فلان، أي سكنت إليه؛ فإن العقول لا تسكن إلا بالعكوف على حضرة بارئها والأرواح لا تأنس وتستقر إلا بمشاهدة مبدعها ومبديها؛

أو من «إله» إذا تحير ^٣ فيه ولم يهتد إليه؛ فالأوهام خاسية، متحيرة، منقطعة عن الوصول إلى مدارج الصمدانية؛ والعقول ناهية، متحيرة في بيداء الوجدانية والأرواح مستغرقة، مندهشة بأنوار الفردانية؛

أو من «وله الفصيل» إذا ولع بأمه؛ فإن العباد مولوعون بالتضرع إليه في كل الأحوال، والعقول مولعة بالترقي إلى مشاهدة أنس الجمال؛

أو من «وله الرجل» إذا فزع ^٤ من أمر نزل به؛ فالخلائق يهرعون إلى حضرة الواحد القهار من نازلة أهدت بهم ونائبة أخذت بنواصيهم، فهم في ذلك كله قد فزعوا إلى الحق في كشف نوايب الدهر ومصايب الكائنات؛

أو من «الولة» وهو الحيرة وذهاب العقل من شدة الوجد. ومنه «ناقة والهة» إذا اشتد وجدها على ولدها؛

[اقسام الخلق]

فالخلق على قسمين: منقطع وواصل. والواصل على قسمين: واصل بساحل بحر المعرفة وواصل قد ركب لجج تيار بحارها؛ فالمنقطع، متحير، ذاهب عقله لفقدان معرفته والظلمات العاقبة له عن الوصول ولحجب المانعة عن اللحوق، والواصل الواقف بالساحل،

١. شرح الأسماء الحسنی. سبزواری، ج ٢، ص ٣. (البتة ممكن است هادی سبزواری متأخر از احمد از هلال باشد؟)

٢. معجم مقایس اللغة، ج ١، ص ١٢٧.

٣. النهاية، ابن اثیر، ج ١، ص ٦٢؛ ونقله أيضاً لسان العرب، ج ١، ص ١٩٠.

٤. الصحاح، ج ٦، ص ٢٢٢٣؛ مفردات راغب، ص ٢١؛ تاج العروس، ج ٩، ص ٣٧٥؛ ونقله أيضاً لسان العرب، ج ١، ص ١٩٠.

٥. نقله مفردات راغب: تاج العروس، ج ٩، ص ٣٨٢٢.



متحير، مبهور ذاهل لبه لعظمة ما شاهد من سبحات جلال بحار المعرفة
واما الواصل الذي قدر ركب اللجة، فهو قد أخذ منه واستوصل واصطلم فلا عقل ولا
وجود بل هو قائم بسرّ الفردانية ونور الواحدانية، مشاهد حضرة ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار﴾ (غافر (٤٠): ١٦)

أو من «لاه يلوه» وهذا المعني يحتمل وجهين:
أحدهما، من «لاه» إذا ارتفع فإن الحق تبارك وتعالى عال مرتفع بعظمته وجلاله عن
مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات وعن أن تلحقه الأوهام والحواس بإدراكاتها؛
فسبحان من ارتفع واختفي بشدة ظهوره واستتر بكمال نوره.
والثاني؛ من «لاه يلوه» إذا احتجب، فالحق مجتجب على الخلائق بأنوار سبحات وجهه
الباقي، فالأوهام لا تلحقه، والحواس لا تدركه، والعقول قاصرة قاطنة التقديس والتسييح،
والأرواح والأسرار مدفوعة محتجبة بأنوار العزة.

ومن الناس من ذهب إلى أن هذا الإسم كان في أصله وصفاً، ثم أجري مجري الاعلام لتقابل
الأدلة من الجانبين، أعني: القائلين بالعلمية والقائلين بالوصفية «كالنجم» للثريا؛ فإنه اسم لكل
كوكب، ثم غلب استعماله و«السنة» للقطط و«البيت» للكعبة و«الكتاب» لكتاب سيبويه.
هذا تحرير المذاهب في هذا الإسم، أعني: الجلالة، من حيث كونه عربياً أو غير عربي،
علما أو صفة، مشتقاً أو غير مشتق على وجه الإيجاز والاختصار.
إذا عرفت هذا؛ فهذا الإسم، علم لذات الحق، واجب الوجود، الجامع لجميع الصفات
الالهية والنعوت الربانية، المنفرد بالوجود الحقيقي؛ فإن كل موجود سواه غير مستحق
للوجود بذاته وإنما استفاد الوجود منه، فهو من حيث ذاته هالك. ومن الجهة التي تليه
موجود، فكل موجود هالك إلا وجهه. وهو آخر الظواهر والأسماء وأول البواطن منها، وكل
الأسماء داخلية في دائرة هذا الإسم وهو جامع لحضرات الأسماء كلها.

[في ماهية اسم الاعظم]

واعلم أنهم اختلفوا في هذا الإسم، هل هو الإسم الأعظم أم لا؛ فنقول: اختلف الناس

١. كثر الدقائق، ج ١، ص ٣٨؛ انظر البحر المحيط، ج ١، ص ١٤-١٥؛ تفسير الكبير، ج ١، ص ١٦٠.
٢. كتاب العين، ج ٤، ص ٩١.

في الإسم الأعظم؛

فمنهم: من ذهب إلى أنّ الإسم الأعظم ليس معيناً؛ بل كل شخص إذا دعي بإسم من الأسماء، اسماً للحق ملتجئاً على وجه الإخلاص والافتقار، كان ذلك الإسم في حق ذلك الشخص هو الإسم الأعظم؛

ومنهم: من ذهب إلى أنه غير معلوم للخلق؛ بل هو مخفي كإخفاء ليلة القدر والصلاة الوسطي على قول.

والقائلون بأنه معلوم للخلق، اختلفوا في تعيينه؛ فمنهم: من ذهب إلى أنه «هو» ومنهم: من ذهب إلى أنه لفظة الجلالة^١ ومنهم: من ذهب إلى أنه «الحى القيوم» ومنهم: من ذهب إلى أنه «ذو الجلال والإكرام»^٢ ومنهم: من ذهب إلى أنه المذكور في أوائل السور من ﴿ألم﴾، ﴿المص﴾ وغير ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور؛^٣ ومنهم: من ذهب إلى أنه «يا مبديء يا معيد يا ذا العرش المجيد يا فعال لما يريد أسألك بنور وجهك الذي ملاً أركان عرشك وبقدرتك الذي اقتدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت أغثني يا مغيث» على ما ذكره الاستاذ أبو القاسم القشيري في رسالة من حكاية التاجر مرفوعة إلى النبي ﷺ؛^٤

ومن ذهب إلى أنه غير معين؛ قال:

الحكمة في إخفائه، ليجتهد العبد في تطلبه وفي الدعاء بكل اسم للحق، لقيام الإحتمال عند من يدعوا الحق إن كان إسم من أسماء الله، ربما كان هو الإسم الأعظم؛ إذ الفرض أنه غير معين للخلق، فلا تزال الدواعي متوفرة على التطلب جاثمة على التعلق بكل إسم من أسماء الحق وليس كذلك إذا كان معيناً؛ فإن النفس تسكن عند التعلق بذلك المعين. والذي يظهر لي من حيث قلم الظاهر، أن يقال: إن قلنا، أن ذاته تعالي وحقيقته لا يمكن أن تعلم للبشر، فالإسم الأعظم ما هو بازاء الذات من حيث هي هي، فيحتمل حينئذ أن يقال: إن إسم الأعظم استأثر الله بعلمه ولم يبرزه للخلائق لعدم معرفتهم بحقيقة ذاته

١. مهج الدعوات، ص ٣١٦؛ جامع البيان، ج ٢٨، ص ٧٢ / ٢٦٢٩١؛ تفسير قرطبي، ج ١٨، ص ٤٩؛ تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٢٠؛ الدر المنثور، ج ١، ص ٩.

٢. الترمذي باب ٩٢، ج ٥/٥٣٩؛ مسند احمد، ج ٤، ص ١٧٧؛ هذا كلام المجاهد و مقاتل راجع تفسير طبري، ج ٩، ص ٥٢٣؛ جوامع الجامع، ج ٢، ص ٧١١.

٣. راجع. تفسير قمي، ج ١، ص ٣٠؛ ج ٢، ص ١١٨ و ٢٦٧ و ٢٨٠؛ والتبيان، ج ١، ص ٤٧؛ عن السدي واسماعيل والثعبي، تفسير صافي، ج ١، ص ٩٠؛ تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٢٩/٥.

٤. واعر عليه ولكن نقله ابن أبي الدنيا في كتاب الهوائف، ص ٢٣؛ أسد الغابة، ج ٥، ص ٣٠٢ في ذكر ب د ع س .





عز وجل المختصة بالإسم الأعظم ، وما لم يعلم ، لا يهتدي تمييزه وتعيينه باسم لعدم شعور
الذهن به .

ويحتمل أن يقال : أن البركة بالتلفظ به والتعبد بذكره وإيجاد الخواص المترتبة عند إجرائه
على اللسان ولظهور عجز البشر عن الوصول إلى أنوار سبحات الوجه الباقي تقدرت
أسماؤه وتعالى صفاته .

وإن قلنا : إن ذاته يمكن أن يكون معلومة للبشر ، احتمل أن ينور بعض قلوب عباده
ويجعله مستعداً لفيضان أنوار كماله فيطلعه على الإسم المختص بحقيقة الذات ، فيظهر
بذلك بين العباد فيصير بذلك معيناً بين الخلائق . واحتمل أن لا يطلع عليه أحد ويظهره
للخلائق من غير اطلاع عليه ، فيكون غير معين . ويحتمل أن يستأثر الله بعلمه . وهو التحقيق
من أعلا ما يكون بحسب الظاهر .

وأما بحسب الباطن ، فالإسم الأعظم ، إنما يكون بحسب مراتب الألوهية ومراتب الصفات
ومراتب الأفعال ؛ وأما محض الذات وغيب الهوية التي هي غيب الغيوب ، فليس هناك
اسم . وهذا شهود الكمال من عباد الله ، وليس هذا موضع تحقيق هذا المقام ؛ إذ لو كان البحر
مداداً لنفد قبل أن تنفذ شواهد .

[اقسام الاسم]

إذا عرفت أن الإسم إنما يكون بحسب مراتب الألوهية والصفات والأفعال فاعلم : أن
من الأسماء ما لا يطلع عليه إلا الأكابر من المحققين ، اللابسين خلع الأكمالية . وهذه
الأسماء لا يمكن النطق بها ولا التلفظ ؛ إذ تلك العبارة تحتها بمراتب ، ولا يطلعون عليها
أحداً من خلق الله تعالى ؛ من اطلع عليها صارت سرّاً مخزوناً ، وإنما كان الأمر على هذا
الوجه لأسرار يعرفها أهلها ، وما عدا هذه الأسماء فهو على قسمين :

قسم ، يدخل تحت اللفظ والكتابة ، وقسم ، لا يدخل تحت شيء من شؤون الألوهية .
وفي مراتب الصفات ، الإسم الأعظم هو : «الحي» و«العليم» وفي مراتب الأفعال : «القادر»
و«المريد» أو «القدير» .

[ها هنا شيء]

وها هنا شيء، ينبغي أن أتنبه له وهو: أن كل شخص من الموجودات، له اسم إلهي يستند إليه وهو في حقه، الإسم الأعظم. وعلى هذا التحقيق، تحمل جميع الأخبار الواردة بتنوع الإسم الأعظم وتعدده. ويعلم الإسم الأعظم بالإطلاق والأعظم على سبيل الإضافة وكون الإسم الأعظم واحداً ومتعددًا، فإنهم ما نبهناك عليه ترشد.

وأما القسم الذي لا يدخل تحت العبارة، فالإسم الأعظم هو العبد الكامل والإنسان الكلّي الجامع لحقائق الكلّية والتجليات الإلهية الكلّية التي منها، تفيض التجليات الجزئية، صاحب نقطة الاعتدال الحقيقي، الجامع بين الجمع والتفصيل الظهور والبطون والإطلاق والتقيد؛ لأن الإسم فيه، دلالة على المسمّي وتعريف له سوي، اشتق من السمة أو السمو. وذات هذا العبد وشؤونه في تعريف الحق والدلالة عليه، أتم دلالة وأكمل تعريفاً من ساير الموجودات؛ إذ هو مظهر الإسم الأعظم في عالم الظهور والبطون، فالإسم الأعظم حينئذٍ على الإطلاق، هو خاتم المرسلين؛ لأنه قطب الأقطاب أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً كما أشار إليه بقوله ﷺ: «كنت نبياً وأدم بين الماء والطين»^١ ومن قبله من الأنبياء والمرسلين والخلفاء والكمّل من الأقطاب وغيرهم من الرجال العدد، هم في الحقيقة نوابه ومظاهر مرتبته، ومن فيضه الأقدس يستمدون فكلّ منهم هو الإسم الأعظم؛ لكن بالنيابة والفيض عن المرتبة المحمدية، وأعظميته ﷺ إنما هي بالإضافة إلى من دونه في الأكملية والحيطه، فهم أتباعه وورثة سره، فالكمال والقطبية حاصله لهم ببركة متابعتهم واسميتهم من الأعظمية على متوالي ما تقدم ممن كان قبله.

فاتضح بهذا، الإسم الأعظم على الإطلاق إنما هو لخاتم المرسلين، ولغيره إنما يكون بالإضافة.

لايحة

[مفردات كلمة «الله» وإشارته]

«الألف» يشار به على الذات الأحدية وهو الحق، من حيث هو أول الأشياء في أزل

١. عوالي الألكلي، ج ١، ص ٤١٨، ج ٤، ص ١٢١، ص ١٢٤؛ راجع تفسير صافي، ج ٥، ص ٣٧؛ ينابيع المودة، ج ١، ص ٥٤٦؛ بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٤٠٢، حديث ١.





الآزال، ويعبر بعبارة اخري : الألف صورة الوجود المطلق الذي هو الحق سبحانه وهو غير متعين بتعيين زاد عليه، والألف أيضاً كذلك وهو سبحانه أصل الوجود الإضافي، كذلك أصل باقي الحروف وهو صورة الاختراع الأول .
وقيل :

«البا» لأن أول ما حصل من «الألف»، «البا» خالياً صورته، والاختراع الأول فيض الحق .
والتحقيق أن «الألف» مطلق له في عالم صورة وهو حرف ناري في عالم التشكيل .
ومن المحققين : «من جعله حرفاً حاراً في الدرجة الاولى»، فعلى هذا يجمع بين طبيعتين النار والهواء . وهذا هو الحق، وله تعلقات عجيبة في العالم العلوي والسفلي، الإنسان وغيره، ليس هذا محل تفصيله .

و«اللام» سرّ الأمر وقال بعضهم : «هي يشار بها إلى القدرة كما أن «الألف» يشار بها إلى الذات» . واعلم : أن «اللام» سرّ الألف، إذ هي ألفان في الموضوعات الخطية الأعلّا، هو «الألف» المعلوم وليس المشار إليه والمبسوطة، هي قدرته التي بسطها على خلقه وهو قائم على قدرته بما بسطه على خلقه من أنواع تصريف الأقدار؛ فهو في «الألف» ذات وفي «اللام» ذات وصفات، وأكمل بسط «الألف» «اللام» ولذلك كاتب «الألف» عالم الاختراع الأول و«اللام» هي حقيقة الاختراع الأول، والثاني لما قلناه من أنهما ألفين وهو حرف مائي .
ومن المحققين : «من جعله بارداً في الدرجة الثالثة»، فعلى هذا يجمع بين طبيعتين الماء والتراب، وله تعلقات عجيبة في العالم العلوي والسفلي الإنسان وغيره، ولها باطن التوحيد وهو نور مطلق، غير متعين بتعين خاص في العالم العلوي وهو باطن الإسم الأعظم .
وجعلت «الهاء» آخر الإسم الأعظم و«الألف» في أوله يجتمع ظاهر التوحيد وباطنه، فيصير هو الأول والآخر والظاهر والباطن وإثما قلنا، أن «الهاء» باطن التوحيد؛ لأنه في توحيد ذاته بذاته جيء بها، قال تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (آل عمران ٣: ١٨) وقدمت في توحيد الموجودات، توحيد علم وقدره ومشية، قال تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ (الحديد ٥٧: ٤) أي بعلمه وقدرته وأحكام مشيته وتقدمت على الأول؛ إذ هي باطنه، بقوله تعالى : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ (الحديد ٥٧: ٣) وهي باطن الآخر وباطن الباطن وباطن الظاهر فتدبره . وهو الآخر وهو الظاهر وهو بالباطن . و«الهاء» حرف ناري في الدرجة الثانية، وقيل : هوائي روحاني باطني .
والتحقيق : إنه حارّ، فعلى هذا يجمع بين طبيعتين النار والهوي، وله من النسب العددية خمسة، وبهذا الاعتبار سرّها سار في أسرار الخماسيات المنبثّة في العالم كالصلاة الخمس



والخمسة المغيبات ، وهو قوله تعالى : ﴿اللَّهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (لقمان ٣١: ٣٣) إلى آخر السورة . وفذلكة هذا الإسم على سبيل الإيجاز ، أنه ظهر بألفين ولا ميم وهاء ، فالألف الواحدة لنسبة الإسم الباطن وهي الظاهرة في النطق لافي الخط لظهور الإسم الباطن بأثره لا بعينه ، والألف الاخري ، الظاهر في النطق والخط لنسبة الإسم الظاهر ، واحد اللامين لنسبة ارتباط الحق بالعالم من كونه ظاهراً بحقائق العالم ، واللام الاخري لنسبة ارتباط العالم بالحق من حيث ظهور العالم ، بعضه للبعض في غيب الحق . والحق هو الظاهر ومرآة التجليات والهاء للهوية الجامعة بين الأول والآخر والظاهر والباطن وبسرها جمع الجمع . وقيل : «حروفه الظاهرة والباطنة ستة خمسة» كما بيننا و او باشباع الضمة وأنه هو الإسم الأعظم على قول الجمهور وغيره على قول ما تقدم . وأنه هل هو مشتق أم غير مشتق إلى غير ذلك من الأقوال المتقدمة ؛

وبمجموع الأقوال : أن هذا الإسم له العظمة والجلال والجمال والكمال لكونه موضوعاً بإزاء الذات واستلزامه جميع الأسماء والصفات ؛ إذ بسرّ ألفه ، قام الاختراع الأول وعالم الأنوار والقطبية والعرش وبالألف الثانية ، حصل الاختراع الثاني من الأرواح والملكوت والصور والمثل كما قام في الاختراع الأول ، الأسرار والرموز والكرسي ؛ وباللام الثانية ؛ حصل الإبداع الأول والهيولي الكلية ؛ وباللام الثانية حصل الإبداع الثاني والجسم الكلي ؛ وأما السموات والأرض وما فيهن ، فهي فروع وتفاصيل وجزئيات للجسم الكلي ؛ وأما هاء الهوية ، فهو قائم بسرّ الجميع ، فانظر إلى سرّ هذا الإسم ، كيف صدرت عنه آثار الأسماء و الصفات فمن ثمّ كان مستلزماً لهاء .

واعلم ، أن من جلال هذا الإسم ، أنه قبض بسط العقول والأرواح والقلوب في ميدان هذا الإسم كما بسطهم في ميدان الإسماء ، من هذا السرّ ، لم يقع التجاسر . ولا سنح للأفكار في إطلاق التسمية به مع وجود الجاحدين والفراعة المتمردين وشدة كفرهم ؛ ولذلك كان كل اسم من أسمائه تعالى ، يصح للتخلّق إلا هذا الإسم ؛ فإنه للتعلق به . وعبد هذا الإسم ، صاحب الزمان ونقطة الكون في كلّ أوان ، والمعبر عنه بالقطب عند الكافة وهو هجيره . وأما ما ينتج ذكره ، فنعرض عنه صفحاً ؛ لأنّ من وصل أطلع ومن لم يصل ، قد يتضرر وليكن هذا آخر الكلام ، لهذا الإسم ؛ فإنّ ساحل بحره ، لا يحاط به . والكلام عليه لا نهاية له .

[تفسير ﴿لا إله إلا هو﴾]

﴿لا إله إلا هو﴾ خبر المبتدأ و«لا» هاهنا هي التي لنفي الجنس، وفي العربية، تشاجرُ في أنه هل يثبت خبرها أم لا؟ فبنو تميم، لا يثبتونه في كلامهم أصلاً، وأهل الحجاز يثبتونه؛^١ لكن يحذف كثيراً عندهم، فيقولون: «لا أهل» و«لامال» و«لا بأس» و«لا فتى إلا على ولا سيف إلا ذو الفقار»، والخبر المحذوف في ذلك كله، «لنا» أي لا أهل لنا إلى آخره. ومن هذا المادة، كلمة التوحيد، لكن تقلد الخبر فيما في الوجود؛ لأن «لا إله إلا هو» في الأصل، رد على الجاحد، لأنهم لا يقدمون على الحذف إلا إذا كان مبنياً على كلام متقدم قد جري فيه ذكر الخبر، فاستغني بذلك عن ذكره؛ فكأنه يقول: «هل في الوجود من إله غير الله» فيقال له: «لا إله إلا هو» وإنما لم يقدر أن الأصل «لا إله لنا إلا الله»؛ إذ ليس في تقديره، دلالة على توحيد الحق مطلقاً؛ إذ يحتمل أن يقال: هب إله لا إله لنا إلا هو فلم قلت: لا إله لجميع المحدثات إلا هو، فقدر الأصل «لا إله في الوجود إلا هو» فتقررت الوجدانية مطلقاً أزيح هذا الوهم؛ ولذا قيل: أكرر التوحيد في قوله ﴿والهكم إله واحد لا إله إلا هو﴾ (البقرة: ٢) (١٦٣) لأنه لما قيل و«إلهكم إله واحد» بقي لسائل أن يقول: هب أن إلهنا واحد، فلم قلت أن الله لكل واحد، فأزيل هذا السؤال فقله عز وجل بعده «لا إله إلا هو».

[القول في كلمة «الإ»]

و«الإ» هو المستثني في موضع رفع، بدلاً من محل «لا إله إلا»، أن محل «لا» مع المنفي، رفع بالابتداء ولو كان موضع المستثني نصباً، لكان إلا إياه. ونقل الإمام فخر الدين الرازي في شرحه لأسماء الحسنی:

أن النحاة، اتفقوا على أن معنى «الإ» في كلمة التوحيد بمعنى «غير»، التقدير «لا إله غيره»، في «لا إله إلا الله» لا إله غير الله. وهو مثل قول الشاعر، وكل أخ، مفارقة أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان. ثم والذي يدل على صحة ما قلناه، أن لو حملنا «الإ» على الاستثناء لم يكن قولنا «لا إله إلا الله» توحيداً محضاً؛ لأنه قد يصير تقدير الكلام «لا إله» يستثني عنهم الله، فيكون هذا نفياً لآلهة يستثني عنهم الله؛ بل عند من بدليل

١. مغني اللبيب، ج ١، ص ٣١٥.

٢. تفسير الكبير، ج ٤، ص ١٩٦.

الخطاب يكون اثباتاً لذلك وهو كفر . فثبت أنه لو كان كلمة «إلا» محمولة على الاستثناء لم يكن قولنا «إلا إله إلا الله» توحيداً محضاً ولما أجمعت الأمة على أنه يفيد التوحيد المحض وجب حمل «إلا» على معني غيره حتي يصير معني الكلام لا إله إلا غير الله .
انتهي كلامه .



وفيه نظر : من حيث دعوي الإجماع ، فإن هذه المادة من أفراد ما تعذر البدل فيه لفظاً ، فيبدل على الموضع كما هو مقرر في فنه . وأيضاً لحمل «إلا» على غير شروط وهي منتفية هاهنا . وليس مسلم عدم الاشتراط على المذهب الضعيف .

فبعضهم : قد صرح بأن «إلا» في هذه المادة الاستثناء كأبي البقا في^١ اعرابه وغيره ، فكيف يكتم دعوي الاجماع مع التصريح بأنها للاستثناء واقتضاء خصوصية المادة ذلك .

وأما ما ذكره من العلة المانعة من حمل «إلا» على الاستثناء المثبت لحضرة الألوهية في الحق ، متأخر عن الإخراج ، وبعد الإخراج إنما يتعين الحق بانحصار نسبة ألوهية فيه ؛ و الجنس المنفي لا يكون مراداً باعتبار الاسناد ؛ بل باعتبار عدمه ، فينفي الاستثناء وارد على مطلق الجنس المنفي لا باعتبار قيد .

نعم حكم السلب الوارد على ماهية ، الجنس ، قد ارتفع بثبوت نقيضه لفرد من الافراد . وهذا لا يقدر في مطلق الماهية لا قيد لأنه اسناد بعد الإخراج وهي معتبرة باعتبار عدمه . هذا الجواب مما فتح الله به علينا وهو من غوامض أسرار الصناعة الناتج عنها ، هذا خطأ لمعرب . وأما غير ذلك ، فيقول : قوله تعالي ﴿الله لا إله إلا هو﴾ تقرير للوحدانية ، المستلزمة لنعوت الجلال كلها مع استلزامها لثبوت ذات واجب الوجود ، فدلّ قوله تعالي ثلاث الهيئات .

[الالهيات الثلاث في ﴿الله لا إله إلا هو﴾]

وتحقق هذا يتوقف على مقدمة : وهي أنهم جعلوا^٢ مباحث الهيئات منحصرة في ثلاثة أبواب : الأول : في أنه تعالي ، الثاني : في صفاته ، الثالث : في أفعاله ،

١ . اعراب القرآن (أبي البقاء) ص ٤٥ ذيل تفسير آيه ١٦٣ سورة بقره .

أبي البقاء : عبد الله بن الحسين العيكري (١٦٦هـ) عالم في اللغة والأدب والفرائض . عاش في بغداد وألف كتباً منها : شرح ديوان المتنبني وشرح اللمع لابن جني و اعراب القرآن مرسوم بتفسير التبيان .

٢ . تفسير الكبير لفخر رازي ، ص ٧ ؛ تفسير القرآن لملاصدرا ، ج ٤ ، ص ٥٥ .



وقسموا الباب الأول إلى قسمين :

القسم الأول: في إثبات واجب الوجود العلم به وجعلوا فيه ثلاث مباحث .
والقسم الثاني: في التنزيهات . وجعلوا فيه أبحاثاً خمساً وفي تقرير الوجدانية ، استلزام لذلك ؛ لأنّ لا بدّ لها من موضوع تحمل عليه وتنسب إليه وهو في هذا الفرض المقدر والمادة الخاصة ذات واجب الوجود ؛ إذ الكلام في ثبوت نسبة الوجدانية إليها ، فيحصل بهذا التقرير ، القسم المشتمل على إثبات واجب الوجود بمباحثه ، لإستلزام حمل الوجدانية ثبوت الموضوع وتعيينه .

وأما استلزامها للقسم الثاني المشتمل على التنزيهات ؛ لأنّ حضيرة التوحيد ، تستلزم نفى التجزيّ والتشنيّ ، أما استحالة التشنيّ فلذلك لا تمنع المشار إليه بقوله تعالى : ﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدنا﴾ (الأنبياء ٢١) : (٢٢) ولأدلةٍ أخرى مذكورة في الكتب الكلامية . وأما استحالة التجزي ، فللزوم التركيب الموجب للافتقار المستلزم للإمكان وجواز الإمكان عليه محال ؛ إذ لا بد من الانتهاء إلى مؤثر موجد للعالم واجب الوجود ، غير ممكن . دفعاً للدور والتسلسل ، كما هو مذكور في الكتب الكلامية .

وإذا ثبت أنّ حضيرة التوحيد ، مستلزمة النفي التجزي والتشنيّ ، فينفرد بالقدرة والكمال ويتعالى في الصفات والأفعال عن مناسبة الأشباه والأمثال ، وهذا هو عين التنزيه . هذا ما استلزمه الآية من الدلالة على تجريد التوحيد المشتمل على ثلاث الهيئات .

[تفسير كلمة «هو»]

إذا تحقق هذا ، فلتتكلم علي «هو» ؛ هذا الاسم له هئية عند أرباب المكاشفات ، وهو ذكر خاصة الخاصة وهو موضوع بإزاء الذات المقدسة باعتبار الغيبة والفقد ؛ إذ الأسماء على قسمين : مظهرة ومضمرة ، فالمظهرة دالة على الماهيات المخصوصة ؛ والمضمرة دالة على المتكلم والمخاطب والغائب من دالة على خصوصية ماهية من الماهيات ؛ إذ المضممرات كليات وضماً وانحصارها في المختصات المعينة بحسب الاستعمال ، لا يخرجها عن أصل وضعها ، إذ مفهومها كلي واستعماله في الخارج في منحصر معين ؛ لا يضاد ذلك ؛ إذ الكلي قد يمتنع وجوده في الخارج أو يمكن ولم يوجد أو يوجد واحد مع امتناع غيره للخارج عن المفهوم وإمكانه أو متعدد متناه أو غير متناه كما هو مبين في فنه .



وذهب الأكثرون إلى أنّ المضمّر جزئي . والصحيح ما ذكرنا من أنّه كلي ومنهم ؛ من قال : أنّه كلي وضعاً ، جزئي استعمالاً ولا حاجة إلى أنّا نقول : جزئي استعمالاً لأنّ مناط الكلي والجزئي هو المفهوم ، وأمّا اعتبار الوجود في الخارج والاستعمال ، فأمر خارج عن المفهوم ؛ وإذ قد تبين أنّ وضع المضمّرات على الذي بيناه ، فيكون اسم هو حينئذ دالاً على الذات المقدّسة باعتبار الغيبة والفقد ، إذ هويته باطنة عن أنظار العقول ومحتجبة بحجب الجلال عن أن تنال . وهذا هو المعنى بالغيبة والفقد .

[بيان سرّ]

لكن هاهنا سرّ ننبّه عليه : وهو أنّ إلهاً مع الواو ، تدلّ على الذات غالباً من حيث ظاهر الهوية المنبئة عن الجمعية بدلالة حرف الواو ولما فيه من الاستنباط الزائد على أنّها وهو قطرة من أقطار دوائر الحروف ، وأمّا حرف الهاء من غير الواو ، فإنّه يدل على الذات ؛ لكن من حيث الوحدة الحقيقية الصرفة التي هي غيب الغيب لإرتفاع التعيين والإنساق الحاصل من إنساق الواو ، لأنّ التعيين تنزل وطبيعة الواو معتصمة لذلك ؛

خاتمة في مراتب التوحيد

للتوحيد مراتب : أدناها ، قول «لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له» وهذا هو التوحيد الظاهر الجليّ الذي نفى الشرك الأعظم ، وعليه نصبت القبلة وبه وجبت الذمة وبه حققت الدماء والأموال وانعضلت دار الإسلام من دار الكفر ، وهو أصل التوحيد التقليدي الذي صحت به الملة العامة وهذا توحيد العوام .

[توحيد الاستدلالي]

ويلحق بهذه المرتبة ، التوحيد الاستدلالي الذي هو من وراء الحجاب ، فإنّ التوحيد التقليدي والاستدلالي وإن اشترط فيهما السلامة من الشك والريب ، لكن هما في معرض أن يطرأ عليهما الشوك والشبه ، ومع هذا لا يخلص أصحاب هذه المرتبة عن توهمات باطلة ؛ فإنّ الواحد منهم إذا سمع أنّ الحق سبحانه واحد ، ظن أنّ وحدته شخصية ، قياساً إلى وحدة نفسه وكذا في جميع صفاته ، إذ لا يعرف من الحق سبحانه إلاّ ما هو حاصل له ، خصوصاً



الفقهاء، فإنهم حاكمون بأحكام الله وفي معرفة الذات والصفات والأفعال الإلهية كباقي المقلدين من الموحدين؛ بخلاف أهل التوحيد اليهودي لشهودهم الحقائق، كما سيأتي بيانه.

[توحيد الخواص]

وأما توحيد الأفعال: رجوعها كلها إلى مبدء واحد وهو الحق سبحانه، فتسقط الأسباب الظاهرة ويحصل الصعود والترقي عن منازعات العقول، مقام الكشف والشهود وهذا كالأفعال الصادرة من المظاهر الإنساني؛ فإنه لا شك أن مبدء أفعاله هي النفس الناطقة. والاختلاف في القوي والجوارح والآلات، لا تقدح في وحدة الإنسان الفاعل، فكل ما من هذا العالم، إنما هو في الحقيقة من المبدء الأول الحق سبحانه وإن اختلفت الأسباب القريبة المستندة هي إليها.

وأما توحيد الصفات؛ فهو رجوع الصفات الكمالية الشاربة في الحقائق الكونية إلى الصفات الإلهية واستهلاكها فيها؛ فإن علم الأكوان مثلاً رشحة من رشحات حقيقة العلم الإلهي، كذلك الإرادة والقدرة وغيرهما من صفات الأكوان؛ فإن ذلك، قطرة من قطرات بحر الأسماء والصفات.

وأما توحيد الذات؛ فهو رجوع الذوات الكونية كلها - العالم الكبير والعالم الصغير - إلى الذات الأحدية واستهلاكها فيها، فتستغرق الحقيقة في بحر الطمس ويعجز العقل في بحر الإدراك وتنسحب أنوار العظمة، فتغيب الموجودات وتتلاشا الأكوان وتبرز أسرار التوحيد بشهود جلال: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ (القصص: ٢٨: ٨٨)، وكمال هذا التوحيد هو الذي يكون من الحق سبحانه لنفسه، ثم لنفس الإنسان الكامل المشاهد لمراتب جميع الوجود الحقائي والكوني، ثم من تكون نسبه إلى الكامل أتم وقربه منه أكثر إلى أن ينتهي إلى توحيد من له شهود مثالي لا غير، ثم مرتبة التوحيد الاستدلالي إلى العقلي والنقلي، ثم مرتبة التوحيد التقليدي.

[توحيد خاصة الخاصة]

وأما توحيد خاصة الخاصة، فالوارد علينا من حالة الإملاء، اقتضي الإمساك عنه؛ لكن نذكر مشهداً من مشاهده تشریفاً للمقام وهو في بعض المشاهد شهود الواحد في الكثرة

والكثرة في الوحدة مع اضمحلال التعينات في العين الواحدة وشهود الحقيقة في الإطلاق والتقييد شهوداً مطلقاً عن كلا القيدين ، فيرى الحقّ عين المقيد والمطلق . فلا ينافي تقييده الإطلاق بهذا المعنى ولا إطلاق التقييد ، فلا يخرج عن إحاطته شيء .



[تفسير ﴿الحي القيوم﴾]

﴿الحي القيوم﴾ : يجوز أن يكون خبراً ثانياً وأن يكون خبر مبتدأ محذوف أي «هو» وأن يكون مبدأ والخبر «لا تأخذه» وأن يكون بدلاً من «هو» ، وأن يكون صفة الاسم الأعظم ، وأعربها الوجه الأول والثاني لما أثبتت لذاته المقدسة نعوت الجلال ، أردفه بصفات الأكرام وقدم نعوت الجلال على صفات الإكرام إرشاداً وتعليماً لعباده إلى كيفية النظر المؤدي إلى معرفته ، ولأنه لا ينظر في صفاته الثبوتية نظر تحتم وإيجاب إلا بعد ثبوت تقدسه عن مناسبة المخلوقات وتفرده بالالهوية . فيتحقق بذلك الحكم على العباد ، فيلزمهم النظر في معرفته .

[سرّ تقديم صفات السلبية على الصفات الثبوتية]

وأيضاً في تقديم الصفات السلبية لتنزيهية على الصفات الثبوتية الاكرامية ، صقل لمرأى الأذان وجعلها معدة لدفع الشبهات الوهمية التي عساها أن تقع حالة النظر في صفات الإكرام من تجسيم وتشبيه وغير ذلك مما لا يليق بالحضرة المقدسة ، فكان تقديم ذلك ، كالسلاح المعد لمن أعطي النظر حقه باستيفاء شروطه وانتفاء موانعه ، ومن حصلت له الشبهة من النظر ، إنما حصل له ذلك لإخلاله بتصحيح النظر وتكميله .

وجمع في هذه الآية العظيمة بين نعوت الجلال وصفات الإكرام تنبيهاً للعباد إلى معرفة تجريد التوحيد ومعنى تجريد التوحيد أن لا يشوبه خاطر تشبيه ولا خاطر تعطيل ، أي أثبت وجود ذات متصفة بصفات الكمال ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى (٤٢): ١١) لا في ذاته ولا في صفاته ، فيعتقد وحدانيته فيهما جميعاً ، فإثبات الذات و الصفات ، يخلص من التعطيل و تنزيههما عن مشابهة الغير ، يخلص من التشبيه . هذا معنى تجريد التوحيد على طريقة أهل الاقتصاد من المتكلمين .

إذا علمت هذا ، فقد فسر «الحي» بتفسيرين :



أحدهما: أن حياته عبارة عن صحة اتصافه بالعلم والقدرة فليس هناك إلا الذات المستلزمة لانفعال الامتناع وعلى هذا اقتصر صاحب الكشاف^١ فهذا مذهب الحكماء وأبي الحسين البصري .

وذهب الباقر من المتكلمين منّا ومن المعتزلة^٢ إلى أنها عبارة عن صفة تقتضي هذه الصحة . والبيضاوي ذكر في كتبه الكلامية هذين التفسيرين ، لكنه اقتصر في تفسيره^٣ على التفسير المرجوح ذهولاً منه بسبب تفصيّه كلام الكشاف وإلّا لما ترك الراجح واقتصر على المرجوح لا سيما وقد ذكره في كتبه .

والغزالي في شرحه الأسماء الحسنی فسره بأنّه :

الفعال الدراك ، ثم قال : فالحي الكامل المطلق هو الذي تندرج جميع المدركات تحت إدراكه وجميع الموجودات تحت فعله حتى لا يشذّ عن علمه مدرك ولا عن فعله مفعول وذلك هو الله تعالى فهو الحي المطلق .^٤

انتهى كلامه .

واعلم ؛ أنّ «الحي» هو إمام الأئمة التي هي الأسماء السبعة الأول المسماة بالأسماء الإلهية وهي : الحي والعالم والمريد والقادر والسميع والبصير والمتكلم^٥ وهذه أصول الأسماء كلّها ، وبعضهم زاد ثامناً وهو «الباقي» ، وبعضهم أورد مكان «السميع والبصير» ، الجواد والمقسط .

والحق ، أنّهما من الأسماء التالية لاحتياج الجود والعدل إلى العلم والإرادة والقدرة ؛ بل الجميع لتوقفه على روية استعداد المحل الذي يفيض عليه الجواد الفيض بالقسط وعلى سماع دعاء السائل بلسان الاستعداد وعلى إجابة دعائه بالفيض الأقدس على الوجه الذي يقتضيه استعداد السائل من الأعيان الثابتة ، فهما كالموجد والخالق والرازق التي هي من أسماء الربوبية وإثما جعلوا الحي إمام الأئمة ، لتقدّمه على العالم بالذات ؛ لأن الحياة شرط العلم والشرط متقدم على المشروط طبعاً والعالم متقدّم على جميع الأسماء ، فينتج أنّ

١ . الكشاف ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

٢ . نقله في هامش الكشاف ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

٣ . تفسير البيضاوي ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

٤ . لم نعر على كتابه ولكن ذكره نحوه في تفسير الكبير للرازي ، ج ٧ ، ص ٧ .

٥ . فتح القدير ، ج ١ ، ص ٣١١ .



«الحي» متقدم على جميع الأسماء، فيصير بذلك امام الأئمة . وعند بعضهم ، أنّ العالم بذلك أولى ؛ لأن الإمامة أمر نسبي ، يقتضي مأموماً وكون الإمام أشرف من المأموم ، والعلم يقتضي نسبة ؛ لأنه إما من مقولة الاضافة أو من مقولة الكيف ، مستلزماً للإضافة وعلى كل ، يقتضي نسبة ؛ والحياة لا تقتضي غير الحق ، فهي غير مقتضية للنسبة .

وفي هذا الدليل نظراً ، نعم الدليل الصحيح أن يقال : إنّ العلم هو أول ما تتعين به الذات دون الحي ؛ لأنه في كونه غير مقتض للنسبة كالموجود والواجب ولا يلزم من التقدم بالطبع الإمامة ، ألا ترى أنّ المزاج المعتدل شرط الحياة ولا شك أنّ الحياة متقدمة عليه بالشرف . وهذا القول مما أخذناه من الحق على سبيل الكشف .

[بيان «القيوم»]

وإما اسمه «القيوم» فله ألفاظ القيام والقائم والقيم ، قرىء بذلك كله وقرىء أيضاً «الحي القيوم» بالنصب على إضمار «أعني» .

واعلم ، أنّ الأشياء تنقسم إلى ما يفتقر إلى محل كالأعراض ، فيقال : فيها إنّها ليست قائمة بنفسها وإلى ما لا يحتاج إلى محل كالجواهر فيقال : إنّها قائم بنفسه ، إلا أنّ الجوهر وإن قام بنفسه مستغنياً عن محل يقوم ، فليس هو مستغنياً عن موجد لذاته وعن أمور لا بد منها ، لوجوده وتكون شرطاً في وجوده ، فلا يكون قائماً بنفسه ؛ لأنه محتاج في قوامه إلى وجود غيره وأن يحتج مع ذلك إلى محل . وليس في الوجود موجود يستغني بذاته ولا قوام له بغيره ولا يشترط في دوام وجوده ، وجود غيره سوى الحق ، فهو القائم بنفسه مطلقاً . ولما كان كل ما سواه ممكناً و كل ممكن فهو مستند إلى الواجب ، كان كل ما سواه مستند إليه ، فينتج أنّه سبب لوجود ما سواه ، فإذا هو سبب لتقويم ما سواه على الإطلاق ، فوجب أن يكون قيوماً ؛ لأن القيوم مبالغة في مبالغة وهي حاصلة هاهنا ، إذ معناها الاستغناء عن كل ما سواه وافتقار ما سواه إليه .

إذا علمت هذا ؛ فيستدل بقوله «الحي» على كونه عالماً قادراً وبقوله «القيوم» يستدل على كونه قائماً بذاته ، مقوماً لغيره . ومن هذين الأصلين ، تنشعب جميع المسائل المعتبرة في أصل التوحيد .



[لوازم قيوميته تعالى]

ويلزم من كونه قيوماً لوازم :

منها : أن وجوده واحد وأنه واجب الوجود وأن ذاته غير مركبة ؛ إذ لو كان ممكناً ومركباً لافتقر إلى موجد وإلى كل واحد من أجزاء المركب ، فيكون متقوماً بغير وقد فرض متقوماً بذاته ، هذا خلف .

ويلزم من انتفاء التركيب لازمان : أحدهما : أنه ليس في الوجود شيئاً يصدق كل واحد منهما أنه واجب لذاته وإلا لاشتركا في الوجود الذاتي وتبايناً بالتعيين ، فتقع الكثرة في ذات كل واحد وقد فرضت منتفية ، هذا خلف . الثاني : أنه تعالى يمتنع أن يكون متحيزاً ، فهو بنفسه منقسم بالقسمة المقدارية عند قوم وبالقسمة العقلية عند الكل ، فيحصل التركيب في الماهية وقد فرض انتفاؤه هذا خلف .

ومنها : أن لا يكون في محل لا عرضاً في موضع ولا صورة في مادة ؛ لأن الحال مفتقر إلى المحل والقيوم غير مفتقر .

ومنها : أنه يلزم أن يكون عالماً بجميع الموجودات ؛ إذ لا معنى للعلم إلا بحضور حقيقة المعلوم عند العالم ، فإذا كان قيوماً ، كان قائماً بنفسه ومقوماً لغيره ، فكانت حقيقة حاضرة عنده ، فكان عالماً بذاته وذاته مؤثرة في غيره . فيعلم من ذلك ، إنه كونه مؤثراً في غيره فيعلم غيره ، ويلزم من هذا أن يكون عالماً بجميع الموجودات .

ومنها : أنه لما كان قيوماً بالنسبة إلى ما سواه كان سواه متقوماً به أي موجوداً بإيجاده وافتقار ما سواه إليه إما حال الحدوث أو حال العدم ، ولزم على كل حال من التقدير من أن ما سواه محدث ، أنه لما كان قيوماً بالنسبة إلى كل الممكنات ، استند كل الممكنات إليه إما بواسطة أو بغير واسطة . وعلى التقديرين ، يلزم استناد أفعال العباد إليه ، فكان القول بالقدر لازماً .

ومن هذا التبيان ، يظهر لك أن «الحي القيوم» كالينبوع لجميع مباحث العلم الإلهي . ومن ثم ذهب ابن عباس إلى أن أعظم أسماء الله تعالى «الحي القيوم» .

[كشف وشهود]

ومما فتح الله به علينا حالة الإملاء ، أنه لو قيل بأن «القيوم» هو إمام الأئمة لما كان

بعيداً؛ إذ «القيوم» من حيث أنه قائم بذاته، يدل على وجوده الخاص وعلى السلب من حيث استغناؤه عن غيره، وعلى الإضافة من حيث كونه مقوماً لغيره، فهو جامع الصفات الحقة الثبوتية والسلبية والإضافية والجامع لهذا هو إسم الأسماء .
وأقوي من هذا البرهان وأدق نظراً أنّ الصفات، إنّما كانت واجبة لأجل الذات لا بالذات، سواء منها ما هو غير أو لا غير ولا غير . ويلزم من هذا، أنّ قيامها إنّما كان بالذات المقدسة فإسم «القيوم» حيثئذ مقدمها وبه كانت وما أظن أحداً من أهل الله سبقني إلى هذا الكشف .
واعلم، أنّه كان قد حصل لنا العزم على التكلم على حروف أسماء الله الواقعة في هذه الآية، لكن الوارد الإلهي منعنا من ذلك، إذ كشفنا في عالم الحروف واسع الفضا ودايرته متوالجة، متخالفة، متوافقة، محيطية محاط بها، مختصة بمشرب خصوص الخصوص، و كلامنا ها هنا، ليس من جنس هذا المشرب .



[قوله تعالى ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾]

﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً ويجوز أن يكون له موضع، وفي ذلك وجوه: أحدها: أن يكون خبر آخر «الله» أو خبر «للحي»، ويجوز أن يكون في موضع الحال من الضمير في «القيوم»، أي يقوم بأمر الخلق غير غافل و«لا» جاءت صلة مع الواو لنفي السنة والنوم عنه بكلّ، نفياً مطلقاً ولولاها لاحتمل أن يقال: لا تأخذه سنة ونوم في حال واحد، فبمجيها، حصل النفي المطلق، فانتفى هذا الاحتمال . وإنما لم يقتصر على سلب السنة دون سلب النوم وبالعكس، لنفي توهم أنّ السنة إنّما لم يأخذه لضعفها ولتوهم أنّ النوم إنّما لم يأخذه؛ لأنّ التغيير به اقطع من التغيير بالسنة . ولا يلزم من تنزيه الشيء عما هو أقطع التنزيه عما ليس بأقطع، فجمع بينهما لنفي هذين التوهمين أو إنّنا نقول: ليس بينهما تلازم ذهني حتى يلزم من سلب أحدهما سلب الآخر، فجمع بينهما ليحصل التنزيه عن جميع التغييرات .

و«السنة» فتور يتقدم على النوم، والنوم حال، يعرض للحيوان لسبب استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة، بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً أو أنّ غشية ثقيلة، تقع على القلب فتمنعه معرفة الأشياء أو أنّه عبارة عنهما . وتقديم «السنة» على «النوم» لمطابقة ما عليه الموجود .



والمراد من «لا تأخذه» سلب وقوع النوم وسلب إمكان جوازه، إذ الحي على الإطلاق لا يقع عليه النوم ولا السنة ولا ما شابههما مما يقتضي انخرام الحياة و«القيوم» لا يجوز عليه إمكان جوازه، السنة والنوم والغفلة؛ إذ هو القائم بجميع الموجودات فلو جاز عليه وقوع شيء من ذلك، لفسد العالم لانقطاع الفيض الممد له. واللازم باطل، فالملزوم كذلك. ومصدق ذلك قوله ﷺ «ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام». ^١ ومادة نسبة المحمول إلى الموضوع في هذه القضية ضرورية لاستحالة الانفكاك اختصاره هو منزه من التغيرات. وهذه الجملة تؤكد لكونه حياً قيوماً إذ بسلب السنة والنوم يستحيل طريان ما عساه أن يكون آفة للحياة ومخرجاً للقيومة عن تمام الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيها ما بينهما وبين المعطوف عليه من علاقة البيان والتأكيد ولذلك الشأن في الجمل الواقعة بعد ذلك.

[قوله تعالى ﴿له ما فى السماوات وما فى الارض﴾]

﴿له ما فى السماوات وما فى الأرض﴾ يجوز أن يكون خبر آخر لما تقدم وأن يكون مستأنفاً وهو تقرير لقيومته واحتجاج على تفرده في الألوهية وتأكيد لنفي «السنة والنوم» عنه لأنه خلقهما وما وجد فيهما داخلاً في حقيقتهما وخارجاً عنهما متمكناً فيهما لدلالة في الطرفة على تمكن الكائن في طرفه في مقعره أو محدّبه. وسيأتي الكلام على ﴿ما فى السماوات وما فى الارض﴾ من العوالم عند الكلام على الكرسي.

[قوله تعالى ﴿من الذى يشفع...﴾]

﴿من الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾ من استفهام في موضع رفع بالإبتداء متضمن لبيان كبريا شأنه وأن أحداً لا يقدر على الكلام يوم القيامة إلا بإذنه و«إذ» خبره «الذى» نعت لـ«ذا» و«يشفع» صلة «الذى» و«عنده» ظرف لـ«يشفع» وقيل يجوز أن يكون حالاً من الضمير في «يشفع إلا بإذنه» في موضع الحال والتقدير لا أحد يشفع عنده إلا مأذوناً له إلاّ ومعه إذن أو لا في حال الإذن.

وهذه الجملة والذي قبلها مشتملتان على المبدأ والمعاد لإشتمال الأولى على خلق الآباء العلويات والأمهات السفليات والمولودات الناشئة عنهما، وهذا هو المبدأ. واشتمال هذا

١. نقله في بحر المحيط في التفسير، ج ٢، ص ٦١١؛ التبيان في اعراب القرآن، ج ١، ص ٦٣.



الجملة الثانية على الشفاعة، المستلزمة لبعث الرسل والثواب والعقاب في يوم الجزاء المستلزم في البعث والحشر، وهذا هو المعاد هما مع ما تقدم من الآية دوال بالتضمن والاستلزام على العلم الإلهي الطبيعي الذي هو علم الكلام؛ إذ هو عبارة عن علم يبحث فيه عن ذات الله وصفاته وأفعاله وعن أحوال الممكنات في المبدأ والمعاد على قانون الإسلام ولا معنى لهذه الآيات سوى ذلك.

ويمكن أن يستنبط من هذه الآيات، جميع العلوم على سبيل الإجمال، أما علم الكلام، فقد اتضح مما تقدم؛ وأما سائر العلوم، فهي منقسمة بالقسمة الأولى إلى عقلية وشرعية وأدبية. أما دلالتها على الشرعيات، فلدلالتها على العلم الكلي الناظر في الموجود ولواحقه أو المعلوم وأقسامه، وهو علم أصول الدين الذي هو أصل العلوم الشرعية كلها؛ إذ هو يبحث عن الوجود وأقسامه والعدم وأقسامه، وما بقي، معلوم خارج عن النقيضين. ومن فروعه إثبات النبوات بالنظر العقلي في المعجزات ويتفرع من إثبات النبوة سائر العلوم الشرعية.

وأيضاً في قوله تعالي ﴿من الذي يشفع﴾ استلزام لسائر العلوم الشرعية أصلها وفرعها؛ إذ الشفاعة مستلزمة ليوم الفصل والقضاء المستلزم ذلك لإيصال الثواب والعقاب المستلزم ذلك لإمثال الأوامر واجتناب النواهي ولا نعني بالعلوم الشرعية سوى ذلك.

وأما دلالتها على العلوم الأدبية، فلاستمداد العلوم الشرعية منها؛ إذ الكتاب والسنة واردة على أساليب العرب في محاوراتها وعاداتها في الخطاب. وافتقار الشرعيات إلى العربية بين لا يدفع وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وأما دلالتها على العلوم العقلية؛ فإن من أراد استكمال معرفة الحق بنعوت لجلال وصفات الإكرام، إنما يمكنه ذلك بأحد طريقين طريقة الإلهيين من الحكماء بالنظر في الوجود من أنه واجب أو ممكن.

ثم يستدل به على وجود الصانع والطريقة الأخرى بالنظر في حدوث العالم وإمكانه. ثم يستدل به على وجود الصانع وهذه طريقة المتكلمين وكل من الطريقين مفتقر إلى العقلية، وقد وردت في هذه الآيات، معرفة الحق وهي واجبة بأدلة منفصلة. وما لا يتم الواجب، إلا به فهو واجب، فيلزم من هذا، النظر في العقلية لاستكمال المعرفة أو أنا نقول: قد اشتملت هذه الآيات على حضرة الحق وتعريفه بنعوت جلاله وصفات إكرامه وعلى حقائق الأكوان والممكنات في المبدأ والمعاد على ما تقدم بيانه.



واستكمال النفس بالتحلي بمعرفة هذه الحقائق مستلزم للعلوم الشرعية والعقلية، أما استلزامها للشرعية فواضح؛ إذ لا يمكن امتثال الأوامر واجتناب النواهي ومعرفة التوحيد بدونها والشرعيات مستلزمة للعربية. وأما استلزامها للعلوم العقلية، فلأن كثيراً من الأكوان لا يعلم إلا بالعلوم العقلية. على أن العلوم العقلية، شرعية عند عارفها والعلوم الشرعية، عقلية عند عالمها.

[قوله تعالى ﴿يعلم ما بين أيديهم و...﴾]

﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ يجوز أن يكون خبر آخر وأن يكون مستأنفاً. والمراد من الآية، إنه يعلم ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس، لاستقبال المستقبل واستدبار الماضي. وأن المراد، أمور الدنيا وأمر الآخرة أو عكسه أو ما يحسنونه وما يعقلونه وما وجد قبل الكائنات وما بعدها، واختصاره أنه يعلم الكليات والجزئيات كلها، علماً قديماً مقدماً. والضمير يعود لما في السموات والأرض ولما علا عليها من العوالم العقلية من الأرواح المجردة، بدلالة قوله: ﴿من ذا الذي يشفع﴾ وبهذه الاعتبار، صيغ للعقلاء لإشتمال العوالم على العقلاء ولو وصف غير العقلاء بوصفهم.

وفي هذه الآية الجملة رد على الزايغين عن الحق، من نفي العلم عنه مطلقاً أو نفي العلم بالجزئيات أو نفي العلم بذاته أو نفي العلم بغيره، إذا أثبت فيها، أنه عالم بالكليات والجزئيات المتقدمة على إيجاد العالم والمتأخرة عنه، ولازمه أنه علم بذاته، فعلم غيره وبرهان ذلك، مبين في فنه.

[قوله تعالى ﴿لا يحيطون بشيء من...﴾]

﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ أي معلومة؛ إذ علمه صفته ولا يحاط به ولا بشيء منه؛ ولهذا قال: ولا يحيطون به علماً إلا بما شاء بدل «من شيء» كما يقول: «مررت بأحد إلا بزيد». وعطفت على ما قبلها لأن مجموعها يدل على تفرد العلم الذاتي التام الدال على وحدانيته. ولو قيل: إن المراد من علمه معلوماته المكونة التي شاء ظهورها لمن ارتضى من نبي أو ولي لما كان بعيداً، كما قال تعالى: ﴿فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول﴾ (الجن: ٧٢: ٢٧-٢٨).

[قوله تعالى ﴿وسع كرسيه...﴾]

الجمهور على أنها جملة فعلية، من أن «وسع» بفتح الواو والعين وكسر السين، فعل و«الكرسي» فاعله ويقراً بسكون السين وفتح الواو وكسرهما ورفع العين و«كرسيه» بالجر و«السماوات والأرض» بالرفع، على أنه مبتدأ وخبر، فتكون الجملة إسمية.

[في حقيقة «الكرسي»]

الكلام على «الكرسي»، ما هو من الناس^١ من ذهب إلى أنه لا كرسي في الحقيقة وإنما هو تمثيل مجرد وتصوير لعظمته ومنهم: من قال: هو قدرته^٢ وقيل: هو ملكه وقيل: ^٣ علمه؛ لأن العلم، يسمى كرسيًا والمعلم والمعالم أيضا. ومنه الكراسية لما فيها من العلم والمعنى، ان الله أحاط بكل شيء علماً.

وهذا القول ينسب^٤ إلى ابن عباس (رحمه الله) واستبعده بعض الناس وستكلم على ذلك كله. وقيل: ^٥ هو جسم بين يدي العرش والسماوات السبع والأرضون السبع كحلقة في فلاة بالنسبة إليه وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعل الأكثر على هذا القول الأخير. وفسر^٦وه بالفلك الثامن المشهور بفلك البروج.

١. هذا هو قول القفال وهو من مشايخ الطبري (٢٩١ - ٣٦٥) وله كتاب (في تفسير القرآن الذي فقد ولم نعثر علينا راجع فهرست ابن نديم، ص ٣١٧؛ مجمع البدان، ج ٣، ص ٣٠٨؛ وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٥٧٥/٢٠٠؛ ونقل عنه الرازي في تفسيره، ج ٧، ص ١٣؛ والكشاف، ج ١، ص ٣٠١؛ تفسير القرآن لملاصدرا، ج ٤، ص ١٥٧؛ وراجع أيضاً: تفسير البيضاوي، ج ١، ص ١٣٤؛ التحرير والتنوير، ج ٢، ص ٤٩٧؛ وح ٨، ص ١٢٧.

٢. نور البراهين، ج ٢، ص ٢١٠ (نعمة الله جزائري) وراجع أيضاً معاني القرآن، ج ١، ص ٢٤٤؛ تفسير قرطبي، ج ٣، ص ٣٧٧؛ لسان العرب، ج ٦، ص ١٩٤.

٣. التوحيد للصدوق، ج ١، ص ٣٢٧؛ الاعتقادات، ص ٤٤؛ معاني الأخبار، ج ٢، ص ٣٠؛ كنز الفوائد، ص ٢٣٨؛ صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٦؛ عن ابن جبير؛ التبيان، ج ٢، ص ٣٠٩ (عن ابن عباس) مجمع البيان، ج ٢، ص ١٦٠ (عن ابن عباس ومجاهد)؛ تفسير غريب القرآن لفخر الدين الطريحي، ص ٣٠٩؛ تفسير الأصفى، ج ١، ص ١٢١؛ نور الثقلين، ج ١، ص ١٠٣٦/٢٦٠؛ تفسير كنز الدقائق، ج ١، ص ٦٠٧؛ تفسير طبري، ج ٥، ص ٤٠٢؛ تفسير الماوردي، ج ١، ص ٢٧٠؛ آلاء الرحمن، ج ١، ص ٢٢٨؛ ارشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص ٤٨؛ تفسير الثوري (سفيان لثورلقرآن، ص ٤٨؛ جامع البيان، ج ٣، ص ١٥؛ معاني القرآن (نحاس)، ص ٢٦٣؛ تفسير قرطبي، ج ٣، ص ٣٧٧؛ تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣١٧؛ الدر المنثور، ج ١، ص ٣٢٧.

٤. نفس المصدر.

٥. مستدرک، ج ٢، ص ٢٨٢؛ جامع البيان، ج ٣، ص ١٥؛ تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣١٧؛ ميزان الاعتدال (ذهبي)، ج ٢، ص ٢٦٥؛ (در بيان المعاني به نقل از دارقطني والمحيط عن ابن عباس نقل شده).

٦. راجع شرح اصول كافي (مازندراني)، ج ٣، ص ١٨٣ - ١٨٦؛ بحار الانوار، ج ٥٥، ص ٣٧، ص ٧٩؛ تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣١٨؛ اطيب البيان، ج ٣، ص ١٦؛ ج ٨، ص ٦٨؛ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢، ص ٢٥٤؛ ايجاز البيان عن معاني القرآن، ج ١، ص ١٦٥؛ البرهان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٢.





واعلم، أن المشهور عند علماء الهيئة، أن الفلك الثامن، هو فلك البروج وكذا عند عامة العلماء وجعلوه هو الكرسي والفلك التاسع هو الفلك الأطلس أي الذي لا كوكب به وجعلوه هو العرش. ^١ وذهب صاحب اخوان الصفا إلى أن فلك البروج، هو الأطلس، وهو موافق في أن التاسع هو العرش والثامن هو الكرسي؛ وخالف في جعل الثامن فلك البروج وقال: فلك البروج هو التاسع، المحيط المحدد للجهات. وذهب بعض أكابر المحققين إلى أن الفلك الأطلس، هو فلك البروج وأن الكرسي فوق الأطلس والعرش فوق الكرسي، فعلى هذا تصير الأفلاك أحد عشر فلماً. وقول هذا المحقق الواصل إلى الحضرة، هو المختار عندي. وقول عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) أيضاً نختاره مع هذا القول و سنوضح لك تحقيق الوجه المختار.

وندفع ما اعترضوا به على عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) وتأويلهم مقالته. وكثير من العلماء ذهب إلى أن السموات العلى الأربعة، هي فوق الأفلاك السبعة التي تجري بها الشمس والقمر، وقالوا إن هذه الأربعة هي التي فتحت للرسول ليلة الإسراء وجعلوا قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ (المؤمنون ٢٣: ١٧) هي طرائق الأفلاك، وقالوا إذا أراد الحق أن يخص العلى بالذكر، عرفهن بألف اللام أو وصفهن بالعلية فقال: ﴿السموات العلى﴾ (طه ٢٠: ٤) وقال: ﴿من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ (المؤمنون ٢٣: ٨٦) وعلى مقالة هؤلاء تصير أكراس أربعة عشر، ومعلوم، الكرسي وسع السموات والأرض بالنص، فيصير هو خامس عشر.

إذا عرفت هذا: فلنشرع في بيان الوجه المختار، لكن نقدم على ذلك، مقدمة مشتملة على ترتيب الوجود وتقسيم الموجودات على سبيل الاختصار والقانون الكلي كاللتمة للمراد من وجه. كالمنادي من وجه؛ فنقول: المعلوم لا يخلو إما أن يكون وجوده من ذاته أو لا يكون، والأول: هو المسمى بواجب الوجود والثاني: إن اقتضت ذاته العدم، فهو المسمى

١. بيان المعاني، ج ١، ص ٢٢٥، ص ٣٦٢؛ تفسير القرآن الكريم لملاصدرا، ج ٦، ص ٣٧٢؛ تفسير روح البيان، ج ٤، ص ١٧، ص ٤٤٨؛ تفسير ست سور، ص ٣٤٠ (سورة ملك)؛ محاسن التأويل، ج ٥، ص ٩٣؛ تفسير الميزان، ج ٨، ص ١٥.
٢. تفسير القرآن لابن كثير، ج ١، ص ٥٢١؛ كشف الظنون (حاجي خليفة)، ج ١، ص ٣٣٥ عن صدر الدين قونوي؛ شرح الاسماء الحسنی سبزواری ١: ١١٧ عبارات ابن كثير جنين است: «وقد زعم المتكلمين على علم الهيئة من الإسلاميين، أن الكرسي عندهم هو الفلك الثامن وهو فلك الثوابت الذي فوقه الفلك التاسع وهو الفلك الأثير. ويقال له: الأطلس، وقد رد ذلك عليهم آخرون. وروى ابن جرير عن الحسن البصري أنه كان يقول هو العرش. والصحيح أن الكرسي غير العرش. والعرش أكبر منه. كما دلّت على ذلك الآثار والأخبار. وقد اعتمد ابن جرير على حديث عبد الله بن خليفة عن عمر في ذلك وعندي في صحته نظر.

بممتنع الوجود وإلا فهو الممكن على الإطلاق؛ يطلق على معنيين الأول ما ليس بممتنع، والثاني ما ليس بممتنع الوجود ولا بممتنع العدم، والأول يسمى ممكناً عاماً؛ لأنه يشمل الواجب والممكن أو؛ لأنه اصطلاح الخاصة.

والممكن الخاص ينقسم إلى قسمين: الأول: ما يكون قوامه بذاته. والثاني: ما ليس قوامه بذاته والأول، يسمى بالجواهر والثاني؛ بالعرض ويرسم الأول، بأنه الموجود الذي إذا لا في موضوع والثاني، يرسم بأنه الموجود الذي لا يوجد إلا في موضع؛ ويعني بالموضوع، المحل المقوم لما حل فيه والجواهر؛ إما أن يكون محلاً وهو المادة أو حالاً وهو الصورة أو مركباً منهما وهو الجسم أو لا محلاً ولا حالاً ولا مركباً منهما. وهو إما أن يكون له تعلق الجسم بالتدبير وهو النفس أو لا يكون وهو العقل. والجسم إما بسيط أو مركب، والبسيط نوعان: فلكي وعنصري؛ لأنه لا يخلو إما أن يكون بين الجزء وكله مشابهة في الاسم والحد أم لا؛ فالأول: عنصري، والثاني: فلكي.

والجواهر المركب، ما له أبعاد ثلاثة، وهو ينقسم إلى معدن ونبات وحيوان؛ لأنه لا يخلو إما أن يكون له نما أم لا، الثاني، المعدن والأول، إما أن يكون له حس أو لا؛ والثاني، النبات والأول، الحيوان. وهو منقسم إلى إنسان إن كان له نطق وإلى غيره إن لم يكن له نطق. و قيل: في تقسيمهما غير ذلك.

وأما الجواهر الذي ليس بحال ولا محل، فهو كما تقدم ينقسم إلى قسمين: لأنه إما أن يتعلق بالجسم تعلقاً شوقياً أو لا تعلق له بالجسم؛ والأول. يسمى نفساً ويرسم بأنه جوهر غير جسماني برىء عن الهيولى، متصرف في الجسم، من شأنه أن يدرك الأشياء المجردة عن الهيولى وغواشيتها. والثاني: هو الذي لا تعلق له بالجسم بل هو برىء عن الهيولى وغواشيتها. ويسمى هذا الثاني عقلاً ويرسم بأنه: جوهر بسيط روحاني، مجرد عن الهيولى والجسمانيات من شأنه. أن المعقولات مجردة والعقل ينقسم إلى قسمين: أحدهما: ما لا يكون بينه وبين العلة الأولى واسطة والثاني: ما يكون بينه وبين العلة الأولى واسطة. والأول، يسمى بالعقل الأول والعقل الكلي وهو معلوم بالنسبة إلى العلة الأولى وله وجود من المبدأ الأول ووجوب بالنظر إليه وإمكان من ذاته، فيكون بذلك سبباً لعقل ونفس وفلك. وهلم جراً إلى العقل العاشر؛ فيحصل عقول عشرة وأفلاك تسعة. وهذه، العقول الذي بينها وبين العلة الأولى واسطة، فهذه قسمة العقلاء من الحكماء ولهم عبارات مختلفة وتقسيمات منتشرة، كلها





أشار به المعنى . فاقصرنا على هذه القسمة إيثار للاختصار ، لكن نورد قسمة أخرى على أسلوب غريب .

فقول : المعلوم على قسمين : موجود و معدوم ؛ والمعدوم على قسمين : مقدور و محال ، والموجود على قسمين : مطلق و مقيد ، المطلق ، لا يتقيد بصفة دون صفة ولا بمكان دون مكان ولا بزمان دون زمان ، والمقيد على قسمين : مشروط بالحياة كالعلم وغير مشروط كاللون والطعم ، والجوهر على قسمين : فلكي وطبيعي ، والفلكي على قسمين : أطلس ومكوكب ، والكواكب على قسمين : سيارة وثابتة ، والسيارة على قسمين : متحيزة و [غير] متحيزة . والطبيعي على قسمين : بسيط ومركب ، والبسيط على قسمين : ثقيل وخفيف ، فالخفيف النار ، والهوي والثقيل الماء والتراب . والمركب على قسمين : نام وغير نام والنامي على قسمين : نباتي وحيواني والحيواني على قسمين : ناطق وغير ناطق ، والناطق على قسمين : مؤمن وغير مؤمن ، والمؤمن على قسمين : صالح وغير صالح ، والصالح على قسمين : نبي وولي ، والولي على قسمين : مجذوب وسالك ، والسالك على قسمين : في حضرة العبودية أو في حضرة الأسماء الإلهية . وغير النامي هو الجماد والجواهر الغير متحيزة ، فاعل ومنفعل فالمنفعل هي العنقا ، والفاعل على قسمين : مقبل ومدبر ، فالمقبل هو العقاب ، والمدبر هي الورقا والدرة البيضاء .

إذا علمت هذه المقدمة ، فنلشع في بيان ما اخترناه من قول عبد الله بن عباس رضي الله عنه والقول الآخر الذي لبعض المحققين :

فقول : أعلم أن علم الحق من أول التعينات التي تعين وجود الحق المطلق وأول العوالم المتعينة من العما كذا ، تعين صورة الإنسان الكلي المطلق الكامل ، ثم عالم التهيم ، ثم عالم القلم ، ثم اللوح المحفوظ ، ثم الطبيعة الكلية ، ثم الهيولى الكليه ثم الجسم الكلي ثم أول ما تعين من الجسم الكلي العرش الرحماني الجامع للموجودات الأربعة الطبيعة و الهياكل والجسم والفلك وهو أول الأفلاك وأحد العرش الخمسة وعمّر الله سبحانه هذا الفلك بالملائكة الحاقين وهي الواهيات وهنا مقام اسرافيل عليه السلام ، ومن هنا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صرير الأقلام ،^١ ومن هنا نزل الرفرف ،^٢ ومن هنا نودي^٣

١ . مجمع البيان ، ج ٦ ، ص ٤٢٨ ؛ الدر المنثور ، ج ٤ ، ص ٢٧٢ ، ص ٢٧٣ ؛ التبيان ، ج ٧ ، ص ١٣٣ ؛ بحار الأنوار ، ج ١٣ ، ص ٣ ؛ ج ٦٧ ، ص ١٢٢ .
٢ . تفسير قرطبي ، ج ١٧ ، ص ٨٩ ، ص ٩٨ ؛ بحار الأنوار ، ج ١٨ ، ص ٣٩٥ ، ص ٣٩٦ ؛ أيضاً ، ج ٣٦ ، ص ١٦٢ ؛ ج ٣٧ ، ص ٣١٩ .
٣ . راجع : اصول كافي ، ج ١ ، ص ٤٤٣ ؛ تفسير عياشي ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ ؛ تفسير نور الثقلين ، ج ٥ ، ص ١٥٠ ؛ تفسير صافي ، ج ٥ ، ص ٨٧ .

والله أعلم بصوت أبي بكر تأنياً له؛ إذ كان انية قف، أن ربك يصلي، ثم تلي هو الذي يصلي عليكم وملائكته، ثم العرش الكريم وهو الكرسي موضع القدمين وهو في جوف العرش الرحماني كحلقة بفلاةٍ وخلق بين هذين الفلكين البهاء وعمّر هذا الكرسي بالملائكة المدبرّات وأسكنه ميكائيل ونزلت إليه القدمان.

فالكلمة في العرش واحدة؛ لأنه أول عالم التركيب، فظهر لها في الكرسي نسبتان لأنه الفلك الثاني فانقسمت به الكلمة، فعبّر عنها بالقدمين كما ينقسم الكلام إلى أمرٍ ونهي، وخبرٍ واستخبار وإن كان واحداً.

وأعلم، أن نقوش الكائنات، أزلاً وأبداً محفوظة مسطرة في البرازخ العلوية. قال تعالى:

﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ (فصلت (٤١): ١٢)

إذا علمت هذا، فاعلم، أنه عمّره هذين الفلكين أعني العرش الرحماني، والكرسي تحدث الأشكال الغريبة في عالم الكون والفساد عنها، تكون خرق العوايد على الإطلاق وهي من الأشكال الغريبة ولا يعرف أصلها، وأصلها هو هذا؛ مثل المعجزات والكرامات. وهذا الفلكان قل من علا ما ذكرناه فيهما أو يصل إليه من أصحابنا أرباب الكشف والشهود إلا الأفراد وكذلك لحكماء وأرباب علم الهيئة والإرصاد؛ لأنهم جعلوا المحيط الفلك الأطلس ولم يجعلوا وراءه فلماً آخر مع أنهم صرّحوا بأنّ الدليل اقتضى أن لا يكون الأفلاك أقلّ من تسعة ولم يمنعوا من جواز أكثر من ذلك؛ أنهم صرّحوا بأنّ الدليل اقتضى أن لا يكون الأفلاك أقلّ من تسعة ولم يمنعوا من جواز أكثر من ذلك؛ لأنه لم يقدّم برهان على منع جواز ذلك، غير أنه لما دل الرصد على هذه التسع، حكموا بثبوتها ليس إلا وجوزوا أن يكون فوق ذلك من الأفلاك ما لا يعلمه إلا الله لأجل هذا إذا رأوا شكلاً غير معتاد في الطبيعة نسبوا ذلك إلى شكلٍ غريب، حدث في الفلك عنه صدر هذا الذي هو غير معتاد، لا يجري على قياس. ومن هذين الفلكين كانت الخواص والأشياء وهي الطبيعة المجهولة، فيقال فيه: إنه يفعل بالخاصة لجهلهم بالنسب الموجب لذلك الفعل، فلو أدركوا حركة هذين الفلكين، لم يصح لهم أن يجهلوا شيئاً في العالم، ثم الفلك الأطلس وهو فلك البروج عند بعض المحققين وصاحب رسائل إخوان الصفا. وأما عند كافة أرباب الهيئة، فهو العرش المحيط بجميع الأجسام المحدّد للجهات.

والحق والله أعلم، أن هذا هو فلك البروج وهو الفلك الأطلس أي الذي لا كوكب





فيه؛ ولهذا سمّي بالأطلس وهو بالنسبة إلى الكرسي كنسبة الكرسي إلى العرش كحلقة في فلاة وخلق بين هذين الفلكين عالم الرفراف وهي المعارج العلي، وفيه خلق عالم المثل الإنسانية وتسييحهم «سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح»^١ وهم عالم الحجب واريخا الستور ويقال: إن في هذا الفلك مقام جبرئيل عليه السلام وعمّر هذا الفلك، بالمقسمات و الى هذا الفلك ينتهي علم علماء الرصد أكثرهم، بل كلهم وهو عندهم العرش كما تقدم.

والبروج فيه مفر وضات فهو مقسم على اثني عشر قسماً في كل قسم ملك من الملائكة، ثم فلك الكواكب الثابتة أحدث الله تعالي هذا الفلك الرابع وخلق عالم الرضوان بينه وبين فلك البروج وسطحه أرض الجنة ومقره يكون سقفاً للنار؛ فإن ما في السموات من الصفوف الروحانية، انتقاله في القيامة واتصاله بالجنّات، وما فيها من الكدر وغلبة الصفات العنصرية المقتضة الكون والفساد، تسيل وتنشق وتكون كما أخبر الله سبحانه **﴿وردة كالدهان﴾** (الرحمن (٥٥): ٣٧) وتعود من جملة جهنم باتصالها بالعناصر التي تستحيل ناراً وزمهيراً كما ورد به الأخبار وحكم به الشهود. وكل سماء باب جهنم من أبواب جهنم له قوم خاص وكانت الجنّات ثمانية لكونها في سرح الفلك الثامن. وفي هذا الفلك اسكن الله «رضوان» خازن الجنان وهو من الملائكة الكرام، وملائكة هذا الفلك يقال لهم؛ التاليات، والله تعالي لما خلق هذا الفلك رتب في مقره ألف مرتبة وإحدى وعشرين مرتبة قسم الفلك عليها أقساماً كما قسم فلك البروج على اثني عشر قسماً.

فظهر لكل قسم كرة فظهرت اثنتا عشرة كرة وهو فلك الكواكب والسبعة السيارة التي تحته والأربعة الأركان وهذا الفلك هو فلك الحروف، ومن هنا نشأت في عالم الأجسام. وإذ قد عرفناك في هذه المقدمة جملة العالم، فلنرجع إلى بيان أنّ المخترار هو قول ابن عباس، أنّ الكرسي هو العلم وقول بعض المحققين أنّ الكرسي هو فوق الأطلس، أمّا ترجيح قوله ابن عباس (رضي الله عنه) فلأن مفهوم السماء لغة كل ما علا. ومنه قيل لسقف البيت سماءً. فتكون العوالم العلوية كلّها بحسب هذا المفهوم، سماء من عالم العقل والمثل و الأجسام لصدق مفهوم السماء عليها لغةً. ولما كان المحيط لجميع العوالم بهذا الاعتبار، إنّما هو العلم، ذهب - رضي الله عنه - إلى أنّ الكرسي هو العلم؛ لأنّ العالم، ينقسم على

١. من دعاء له في الصحيفة السجادية، ص ٢٥٠؛ مصباح التهجد، ص ٧٠؛ الدعوات، ج ٦٠، ص ١٤٨؛ وأيضاً راجع: اصول كافي، ج ٢، ص ٥٧٨، ح ٤.

علوي وسفلي . ومفهوم السماء يتناول العلويات ، ومفهوم الأرض يتناول السفليات ، وما ثم إلا علوً وسفلُ أي سماء وأرض ، الآية ناصّة على أنّ الكرسيّ ، وسع السموات والأرض . وجميع العوالم ، داخلّة في مفهوم السموات والأرض لغةً كما بيّناه ولا يحيط بجميع العوالم إلا العلم .



ينتج من هذا ، أنّ الكرسي هو العلم ، لأنّه لو جعلنا الكرسي هو الفلك الثامن على ما ذهب إليه الجمهور ، منع اعتبارنا مطلق مفهوم السماء وهو ما علا لكان محيطاً لجميع العوالم لصدق المفهوم عليها ، كما بيّن .

ومن جملة العوالم ، عالم العقول والأنوار المجردة ، فيكون الكرسي الذي هو جسم من الأجسام محيطاً بالعوالم العقلية والأنوار المجردة وهذا باطل محال ؛ لأنّ العرش وما حواه لا نسبة له إلى العوالم العقلية بل إلى روح كامل الوقت لأنّ العرش ألف ألف مرة لو كان في بعض زاوية من زوايا كامل الوقت ؛ ما أحسن به ، فلزم من جعلنا الكرسي الفلك الثامن مع اعتبارنا ، مطلق مفهوم السماء ، هذا محال وما استلزم المحال فهو محال .

ومن هذا المسلك ، يندفع قول من رد على ابن عباس خصوصاً من قال : بأنّ العلم لا يسع العلم ، فإنّه كلام صدر ممن لا تحقيق له بمفهوم صفة العلم القديم الأزلي ، فإنّ العلم ، يسع العلم كشافاً وإحاطة ، فإنّ متعلق العلم القديم كل واجب وجائز أي ممكن ومستحيل وذات الله واجبة الوجود بالذات والصفات واجبة الوجود للذات ، فذاته وصفاته من متعلقات العلم . وبهذا التحقيق يندفع تأويل من أوّل كلامه ؛ إذ مبني الرد على المعترض والمأوّل على حرف واحد وهو اعتبار مفهوم السماء لغةً ، إذ المفهوم بهذا الإعتبار العوالم كلها لما بيّناه ومعلوم إلّا يحيط بها إلا العلم .

والتحقيق أنّ ما ذهب إليه ابن عباس من حيث التأويل ، يكون أكمل ومعلوم وما ذهب إليه الجمهور من أنّه الفلك الثامن أو بعض المحققين من أنّه العاشر من حيث التفسير والانتهاج على أساليب العرب في مخاطبتهم وفيما هو الأغلب في مجاري أفكارهم وظنونهم يكون أقوى .

وأما ترجيح قول بعض المحققين من أنّ الكرسي هو العاشر الذي فوق الأطلس ، فهو مبني على حرف واحد . وهو أنّ البراهين الدالّة على أنّ الأفلاك تسعة ، لم تمنع الزيادة عليها وإنّما منعت النقصان عنها ، فمن اطّلع على ما يزيد عليها في الكمية ، فما أتى به من الزيادة



مقبول؛ إذ العقل لا يدفعه والبرهان لا يمنعه والكشف والمشاهدة أحد الطرق الموصلة إلى معرفة المعلومات والحقائق المحتجبة والأستار وهو فوق طريق النظر والاستدلال فما أتى به هذا المحقق من طريق الكشف بالزيادة على التسع فمقبول، لموافقته القواعد العقلية وعدم منافاته للأصول الشرعية، لما بيننا من البراهين لا نمنع الزيادة.

واعلم، أنه مما كشف لي حالة إلقاء هذه الأحرف، أن لله كراسي بحسب كمية كليات العوالم، والمبادئ الأولى حضرات الأسماء، فكرسي الكراسي في حضرات الأسماء والصفات هو العلم، وفي دائرة الأفعال أيضاً كراسي، وفي الملكوت الأعلى كذلك. وبالجملة، ففي كل عالم من العوالم الكلية كراسي إلى أن ينتهي الأمر إلى عالم الملك وكرسيه على مقالة الجمهور هو الفلك الثامن، فلك البروج وعلى قول بعض المحققين هو العاشر كما تقدم بيانه.

ومن هذا الكشف، يبين لك أن ابن عباس ما أراد بتفسير الكراسي بالعلم إلا التنبيه على أن وراء كراسي، عالم الملك كراسي، نهايتها هو العلم؛ إذ هو محيط بجميع الدوائر وهو كراسي الكراسي، ولا يريد بذلك أن عالم الملك، ليس له كراسي، بل صدر منه ذلك على سبيل الإشارة إلى علماء الإشارة ولم ينص بالقول على الكراسي عالم الملك للعلم به عند الكفاة. وصدور مثل هذا عن ابن عباس - رضي الله عنه - من بحر الفهم الذي رزقه في كتاب الله تعالى عز وجل بدعوته له ﷺ بذلك وما وقع لنا من الكشف في هذا المقام. أظن أنني لم أسبق إليه ووراء هذا اللسان، السنة أخرى أمسكنا عنها، لإقتضاء الوردات الإمساك عن ذلك.

[قوله تعالى ﴿ولا يؤده حفظهما﴾]

﴿ولا يؤده حفظهما﴾ أي لا يقله ولا يشق عليه، يقال: «أده يؤده أوداً» إذا أثقله. والهاء في قوله ﴿ولا يؤده﴾ راجعة إلى الله هكذا قيل. ويجوز أن يكون راجعة إلى الكراسي، فكان الكراسي على هذا التأويل، معتمد السموات والأرض ومدبرهما فيما يحدق فيهما من

١. هذا هو القول المشهور من المفسرين بل جُلهم ولكن ذكر بعض المفسرين رجوع الضمير إلى الكراسي به نحو الاحتمال راجع: مجمع البيان، ج ٢، ص ٦٢٩؛ الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٢٧٨؛ تفسير شريف اللاهيجي، ج ١، ص ٢٥٣؛ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢، ص ٢٥٥.
وأمّا العلامة الطباطبائي فقد رجّح عوده الي الكراسي راجع الميزان، ج ٢، ص ٣٣٦.

تصارييف الأمور؛ لكونه محيطاً بهما ومحدداً لجهاتها ومصدراً لأنواع الحركات والسكنات فيهما ومنشأً لنفوذ الأمور الربانية فيهما بالكون والفساد. هذا إذا حمل الكرسي على مقالة الجمهور وإن حمل على مقالة ابن عباس وغيره من المحققين، بالأولى والأحرى ورجوع الهاء إلى الكرسي، أبلغ في الدلالة على عظمة الله من رجوعها إليه عزّ وعلا، لأنه إذا كان خلق من خلقه بهذا الشأن والمثابة فذاته أولى.



[في معنى «العلي»]

إعلم، أن «العلي» فعيل من العالي وهو مشتق من «العلو» المقابل للسفل. وذلك إما في المحسوسة كالدرج والمراقي، وذلك يصلح للأجسام المرصوفة بعضها فوق بعض، أمّا في الأمور المعقولة كرتب الموجودات المترتبة نوعاً من الترتيب العقلي. فكل ما له الفوقية في المكان، فله العلوّ المكاني، كما تعالى العرش أعلاً من الكرسي، والسماء أعلى من الأرض، والعلو لا يأتي إلّا في الأجسام ولما تقدس الحقّ سبحانه عن الجسمية تقدّس علواً عن أن يكون بهذا المعنى، وكل ما له الفوقية في التربة والمكانة، فله العلوّ في التربة والمكانة.

والتدرجات العقلية، مفهومة كالتدرجات الحسيّة قال الله تعالى ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة ٥٨: ١١) ومعلوم أنّ هذه الرفعة ليست إلّا كمال الدرجة ويقال لفلان: درجة عالية في العلم والزهد وغير ذلك من المقامات، ولا يراد به العلو في الجهة، بل في الشرف ويقال: الخليفة أعلا من السلطان أي بالحشمة والعظمة. ويقال: فلان من عليّة الناس أي من أشرفهم.

والحاصل أنّ التدرجات العقلية، هي التفاوت الذي بين السبب والمسبب، والعلة المعلول، الفاعل والقابل، والكامل والناقص، فإذا قدر شيء هو سبب لشيء ثانٍ وذلك الثاني سبب لثالث، والثالث لرابع إلى عشر درجات كالعقل الأول إلى العقل العاشر العاشر الأخير. فالعاشر واقع في المرتبة الأخيرة، فهو أسفل الأول، والأول واقع في الدرجة الأولى من السببية، فهو الأعلى ويكون الأول فوق الثاني، ففوقية حيثية المراتب العقلية؛ فإذا فهم معنى التدرج العقلي، فاعلم أنّ الموجودات لا يمكن قسمتها إلى درجات متفاوتة في الدرج العقلي إلّا ويكون الحقّ تعالى في أعلا الدرجات من أقسامها حتى لا يتوهم في خفي الأوهام، ولا في لطيف الأفكار أن يكون فوقه درجة. وذلك هو «العلي» المطلق. وعلو



من سواه بالإضافة إلى مرتبة من هو دونه، فالموجودات إذا قسمت إلى ما هو سبب وإلى ما هو مسبب والسبب فوق المسبب فوقية بالرتبة. والفوقية المطلقة ليست إلا المسبب وهو الله. وأيضاً الموجودات إما واجب وإما ممكن، والواجب أعلا وأشرف من الممكن. فالحق سبحانه وتعالى هو الواجب لذاته، فكان أعلا من الكل. وأيضاً الموجود إما كامل مطلق وإما أن لا يكون كذلك والكامل على الإطلاق أعلا درجة ممن ليس كذلك، والله سبحانه وتعالى هو الكامل على الإطلاق، فكان أعلا من الكل.

وكذلك القول في كمال العلم والقدرة والحياة وكمال القدم والبقاء وكمال الرحمة وسائر صفات الإكرام ونعوت الجلال. وثبت أنه سبحانه أعلا من جميع الموجودات في المراتب العقلية، فهو العليّ المطلق المنزه عن أنواع النقص. فهذا ينبغي أن يفهم علوه تعالى وفوقيته تعالى، فإن هذه الأسماء وضعت أولاً بالإضافة إلى إدراك البصر وهو درجة العوام.

ثم لما تنبه الخواص إلى إدراك البصيرة وجدوا بينها وبين الأبصار موازنات، استعاروا منها الألفاظ المطلقة، ففهمها الخواص وأنكرها العوام الذين لم يتجاوز إدراكهم عن الحواس الظاهرة التي هي رتبة البهائم، فلم يفهموا عظمتها إلا بالمساحة ولا علواً إلا بالمكان ولا فوقيةً إلا بالجهة.

وإذا فهم معني العلو بالمعنى الذي ذكرناه، فهم معنى استوائه على العرش؛ لأن العرش أعظم الأجسام الموجودات فخص بالذكر؛ لأنه فوق جميع الأجسام فما فوقه بالرتبة كان فوق جميعها وهو كقول القائل، إنه فوق السلطان تنبيهاً به على أنه إذا كان فوقه كان فوق جميع الناس الذي هم دون السلطان والعبد، لا يتصور أن يكون علياً مطلقاً؛ إذ لا ينال درجةً إلا ويكون في الوجود ما هو فوقها.

نعم يتصور أن ينال درجةً لا يكون في جنس الموجودات الممكنة من يفوقه فيها وهي درجة نبينا محمد ﷺ لكنه قاصٍ بالإضافة إلى العلو المطلق من وجهين: أحدهما: أنهما علوٌ بالإضافة إلى بعض الموجودات، والآخر: أنه علوٌ بالإضافة إلى الوجود لا بطريق الموجوب والعليّ المطلق هو الذي له الفوقية مطلقاً بحسب الوجوب من غير إضافة.

[في معنى «العظيم»]

وأما «العظيم» فهو اسم في أصل الوضع من موضوعات أسماء الأجسام كما يقال: جسم عظيمٌ وهذا الجسم أعظم من ذلك الجسم، إذا كان امتداد مساحته في الطول والعرض والعمق أكثر منه. ثم هو منقسم إلى عظيم يملأ العين، ويأخذ منها مأخذاً، وإلى ما لا يتصور أن يحيط بجميع أطرافه كالأرض والسماء، فإن الفيل عظيم ولكن البصر، قد يحيط بأطرافه، فهو عظيم بالإضافة إلى ما دونه.

وأما الأرض فلا يتصور أن يحيط البصر بأطرافها وكذلك السماء.

واعلم أن العظيم كما يكون بالزيادة في المقدار والحجمية، كذلك يكون في المعاني، في المقدار والحجمية، كذلك يكون في المعاني، يقال لمن كثر علمه: إنه عظيم في العلم ولمن كثر ملكه: إنه عظيم في الملك وكتب 'رسول الله ﷺ إلى عظيم الروم وقال في صفة القرآن: ﴿ولقد أتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ (الحجر: ١٥). (٨٧).

إذا عرفت هذا، فاعلم، أن العظم المطلق يكون في مدركات البصر وفي مدركات البصائر، فالعظم المطلق في مدركات البصر، هو المحيط بعالم الأجسام والمحدد للجهات كلها، لعدم إحاطة البصر ببعض المخلوقات الداخلة في جهة من جهاته كالأرض بالنسبة إلى الماء كنقطة الدائرة والماء مع الهواء كذلك والهواء مع النار كذلك والعناصر الأربع مع السماء الأولى، وكذلك والأولي في الثانية كذلك وهلمّ جراً إلى السماوات السبع والأرضون والسماوات السبع في الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة. وبالجملة قد تكلم الأصحاب الفكر وأرباب النظر في هيئة السموات والأرضون في مقادير الأجرام العلوية ومساحة الأرض ما يطلعك على عظم المدركات بالأبصار.

وأما العظم الذي يتعلق بمدركات البصائر، فمن ذلك ما تحيط العقول لكنه حقيقته. ومنه ما تقصر عنه العقول، تنقسم إلى ما يتصور أن يحيط به بعض العقول وإن قصر عنه أكثرها، وإلى ما لا يتصور أن يحيط العقل أصلاً بكنهه حقيقته. وذلك هو العظيم المطلق الذي جاوز حدود جميع حدود العقل حتى لم يتصور الإحاطة بكنهه وذلك هو الله سبحانه

١. سنن أبي داود، ج ٢، ص ٥٠٦؛ سنن الترمذي، ج ٤، ص ١٦٨؛ صحيح مسلم، ج ٥، ص ١٦٤؛ صحيح بخاري، ج ١، ص ٦؛ مسند أحمد، ج ١، ص ٢٦٣؛ مكاتيب الرسول، ج ٢، ص ١٦/٣٩٠؛ ج ٤، ص ٣٢١٢؛ بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ٣٨٦.





وتعالى . وإذا أردت أن تترقي إلى معرفة عظمة الله ، فلتنظر أولاً إلى ما في الأرض من عظام المخلوقات ، فنري فيها ما يدهش لبك ، ثم إذا نسبتها إلى أدني جزء من الأجزاء العلوية ، كان ذلك كلاً نسبة وهلم جرا إلى أن ينتهي إلى الكرسي والعرش . وإذا نسبت الأجسام بما حوت إلى عالم النفس كانت كنقطة الدائرة وكذلك عالم النفوس بالنسبة إلى القلوب والقلوب بالنسبة إلى الأرواح والأرواح بالنسبة إلى العقول وكل ذلك حقيراً بالنسبة إلى الجبروت الأعلو والجبروت الأعلو والملكوت وعالم الغيب والشهادة حقيراً بالنسبة إلى عظمة صفة من صفات الحق ؛ لأن جميع المخلوقات إذا نسبت إلى قدرة الله كانت حقيرة لإنها متناهية وقد رته غير متناهية ولا نسبة للمتناهي إلى غير المتناهي .

وبالجملة فكل عظيم يفرض لغير الله تعالى فهو ناقص وليس بعظيم مطلق ؛ لأنه إنما يظهر بالإضافة إلى شيء من دون شيء سوى عظمة الله سبحانه ، فإن العظيم المطلق لا بطريق الإضافة .

واعلم أن الكلام على اسم «العلو والعظيم» وعلى حضراتهما من طريق البطون ، أعرضنا عنه صفحاً لاقتضاء الوارد الإمساك عن ذلك .

تلويح

[في سبب شرافة آية الكرسي]

قيل : سبب شرف آية الكرسي وكونها سيدة آي القرآن ، أنها تضمنت إحدى وعشرين إسماً لله وهي الله وهو الحي القيوم والضميران فيهما ؛ لإنهما صفتان يتحملان الضمير والهاء في «لا تأخذه سنة» والهاء في «له» والهاء في «عنده» والهاء في «بأذنه» والضمير في «يعلم» والهاء في «علمه» والضمير والهاء في «كرسيه» والهاء في «يؤوده» والهاء في «حفظهما» لأن الناس اختلفوا في المصدر كالفعل أولاً . فهذا على أحد القولين وليس المشهور وهو «العلو العظيم» وضمائرها .

[الحكمة في كونها سيدة آي القرآن]

واعلم ، أن الحكمة في كون هذه الآية سيدة آي القرآن ومتعددة : منها : هذا الذي ذكروا ، منها : مشتملة على أمهات المسائل الإلهية منطوقاً وعلى سائر العلوم تضمناً



واستلزاماً كما لوحنا به من قبل؛ إذ منطوقها يدل على أنه تعالى واحد في الإلهية، متصف بالحياة، واجب الوجود لذاته، موجود لغيره؛ إذ القيوم هو القائم بنفسه، المقيم لغيره، منزّه عن التحيز والحلول، مبرأً عن التغيير والزوال، لا يناسب الأشباح ولا يعتريه ما يعتري الأرواح، مالك الملك والملكوت ومبدع الأصول والفروع، ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده إلا من إذنه له، عالمٌ بالأشياء كلّها، جليها وخفيها، كليها وجزئها، واسع الملك والقدرة، لا يؤوده شاق ولا يشغله شأن، متعال عما يدركه وهم ويحيط به فهم، ومفهومها يدل على كليات العلوم تضمنناً والتزاماً ومن الحكم الدالة على أعظمتها، إنه ابتداءً فيها بالإسم الأعظم واختتمت باسمه العظيم الذي مرجعه إلى كمال الذات والصفات .

ومن الحكم الباطنة الدالة على أعظمتها، مما لا يطلع عليه إلا أكابر الدائرة وأفرادها وهي أنها مشتملة على الأسفار الأربعة، إذ في التنبيه، كفاية لأهل الذوق والشهود، فيتطلبون التفضل بذوقهم وشهودهم وغيرهم لا تزيده العبارة إلا خفياً إذ استعدادهم ما يفي بهذا المقام . فلنختم الكلام على هذه الآية الشريفة، حامدين على نعمه ومصليين على خاتم أنبيائه ورسله محمد الفاتح الخاتم مجمع الكمالات ومنبع الخيرات ونور أنوار العلويات والسفليات وآله وأصحابه ذوي النفحات القدسيات والكرامات الإلهيات . تم والحمد لله على إحسانه . تمت الرسالة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه بكرة نهار الإثنين ثالث شهر رجب الفرد سنة إثنين وتسعين وثمانمائة بقلم العبد الفقير تاج الدين محمد بن حمزي بن زهرة الحسيني الفوعلي حامداً ومصلياً ومسلماً على محمد وآله وأصحابه والحمد لله وحده .